- حضارات العصر الحجري القديم الأسفل

مواقع حضارات العصر الحجري القديم الأسفل:

لم تكن مهمة الإنسان المغاربي القديم سهلة خلال فترة ما قبل التاريخ كما يعتقد البعض، بل كان المحيط الطبيعي الذي يعيش فيه معاديا له في كل شيء ابتداء من كسبه لقوته اليومي وحتى أمنه وسلامته كانا معرضين للخطر في كل لحظة، ومع ذلك استطاع ذلك الإنسان رغم فكره المحدود وإمكانياته البسيطة أن يتصدى لتلك الصعاب التي تواجهه.

ولعل من بين ما ساعد الإنسان المغاربي القديم في مسيرته تلك في بداية الأمر ميول الجو نحو الاعتدال إلى حد ما. حيث كان يمر بمرحلة مطيرة في شمال إفريقيا، يقابلها زحف جليدي في القارة الأروبية. وقد عرفت تلك المرحلة في المغرب الأقصى من حيث المناخ بالعامرية والتنسيفية يماثلها في أوربا فترة ما بين جليدية "مندل وريس"[1]. [أنظر الجدول ص.18]

وبما أن البيئة المغربية كانت متميزة بطبيعة تضاريسها وغطائها النباتي فقد التجأ الإنسان إلى الكهوف والمغارات ليتخذ منها مسكنا له في بداية الأمر، ثم تجمع بعد ذلك حول البحيرات والعيون والواحات، وقد كانت حياة الإنسان خلال تلك الفترة معتمدة على الصيد والجمع والالتقاط والمحاكات لمظاهر الطبيعة التي تحيط به.

ويلاحظ أنه يصعب على الباحث في فترة ما قبل التاريخ المغربي إيجاد رابطة قوية بين الأماكن التي تجمع فيها أناس ذلك العصر وكذا نوعية نمط الحياة التي عاشوها حينذاك، لاسيما في فترة العصر الحجري القديم الأسفل (Paléolithique Inférieur) ورغم ذلك هناك إمكانية دراسة الأشياء المادية التي تركها الإنسان في مواقعه الأثرية ثم استنتاج نوعية تفكيره المادي والمعنوي من خلال ذلك. وبالتالي محاولة الوصول إلى رسم خط حضاري يربط بين مختلف العصور الحجرية التي مرت بها الإنسانية

ويلاحظ أنه يصعب على الباحث في فترة ما قبل التاريخ المغربي إيجاد رابطة قوية بين الأماكن التي تجمع فيها أناس ذلك العصر وكذا نوعية نمط الحياة التي عاشوها حينذاك، لاسيما في فترة العصر الحجري القديم الأسفل (Paléolithique Inférieur) ورغم ذلك هناك إمكانية دراسة الأشياء المادية التي تركها الإنسان في مواقعه الأثرية ثم استنتاج نوعية تفكيره المادي والمعنوي من خلال ذلك. وبالتالي محاولة الوصول إلى رسم خط حضاري يربط بين مختلف العصور الحجرية التي مرت بها الإنسانية

اليومية[1]، وقد كانت بصمات الإنسان المغاربي القديم التي بقيت عالقة على الحجارة قد اكتشفت في عدة مناطق مغاربية نصنفها جغرافيا على الشكل الآتي وذلك تسهيلا للدراسة والتحكم في خريطة المواقع المنتشرة في كامل المنطقة المغاربية، ولو أننا ندرك بأننا لا نستطيع الإتيان عليها كلها.

جدول يوضح المراحل الجليدية الأوروبية وما يقابلها (المطيرة) في بلاد المغرب القديم[1]

(فترة ما قبل التاريخ)

أوربا	بلاد المغرب القديم	الحضارة	العصر من حيث الاعتدال والتجمد
فورم Wurm	السلطانية Soltanien	نيوليتي Néolithique قفصية Capsien ايبيرومغربية Ibéromaurusien عاترية Atérien	هولوسين Holocèn
ريس Riss	التنسيفية Tensiftien	الموستيرية Moustérien الأشولية Acheuléen	البليستوسين الأعلى Pléistocène Supérieur
مندل Mindel	العامرية Amirien	تواصل الأشولية Acheuléen الحصى المشذبة Galets aménagés	البليستوسين Pléistocène
جنز Gunz	السلاوية Saletien	الحصى المشذبة 1-2 Galets aménagés	البليستوسين الأسفل Pléistocène Inférieur
ما قبل جنز	الملوية Moulouyen	ما قبل الحصى المشذبة السفلى Prégalets aménagés inférieur	ما قبل البليستوسين الأسفل Prépléistocène inférieur

(1) G. Camps, Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du nord et du Sahara, Doin, Paris 1974, P.13

– أ –

عظم لفك سفلي لإنسان الرباط– العصر الحجري القديم الأسفل

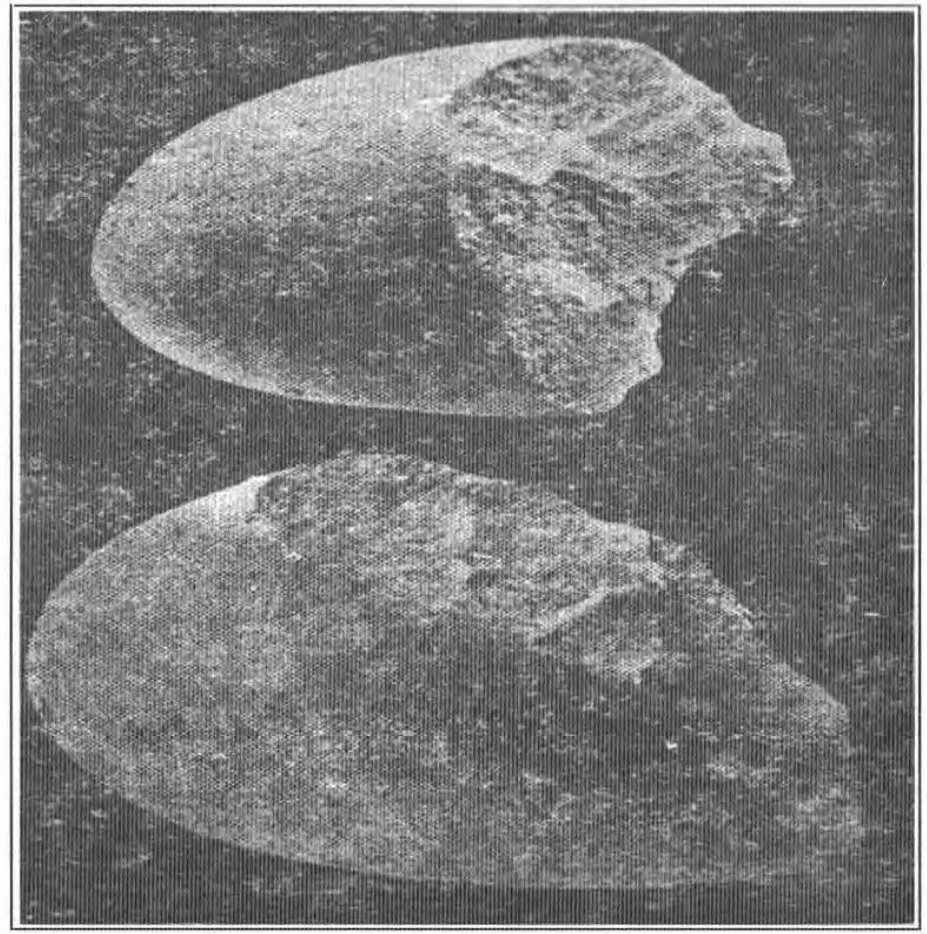

– ج–

صناعة حجرية عثر عليها في مواقع دوار الدوم بالمغرب الأقص

الشكل رقم 01 (جـــ)

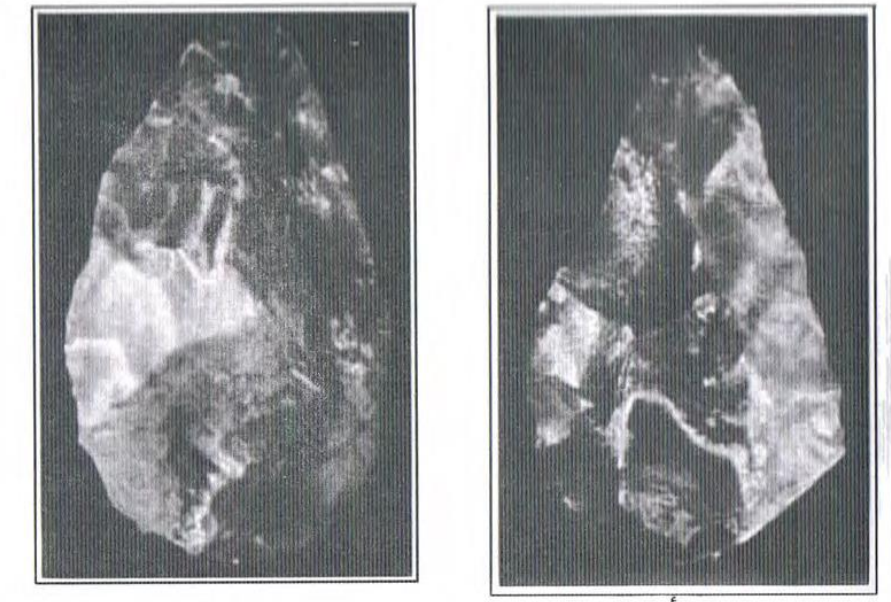

– أ –

– ب –

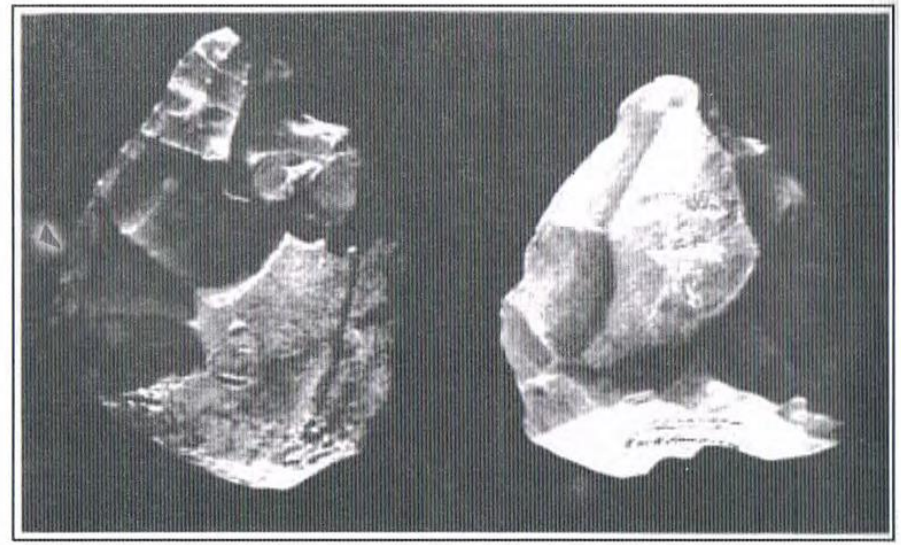

– ج –

فؤوس بيفاسية أشولية متطورة عثر عليها بموقع عين فريطيسة بالمغرب الأقصى وهي الآن محفوظة بمتحف باردو – الجزائر العاصمة

الشكل رقم02 (جـ)

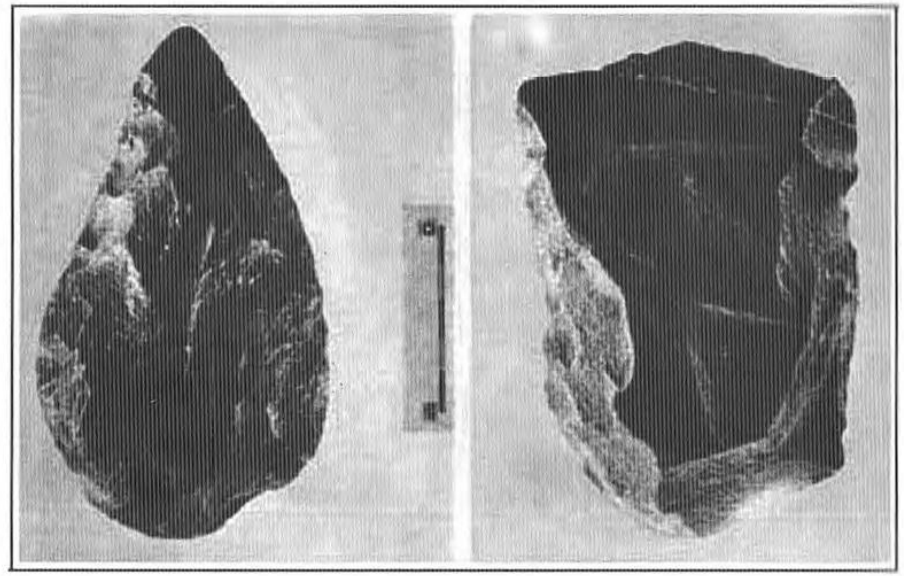

– أ –

فؤوس بيفاسية عثر عليها في بحيرة كيرار وهي محفوظة في متحف الإنسان بباريس

الشكل رقم 03 (أ)

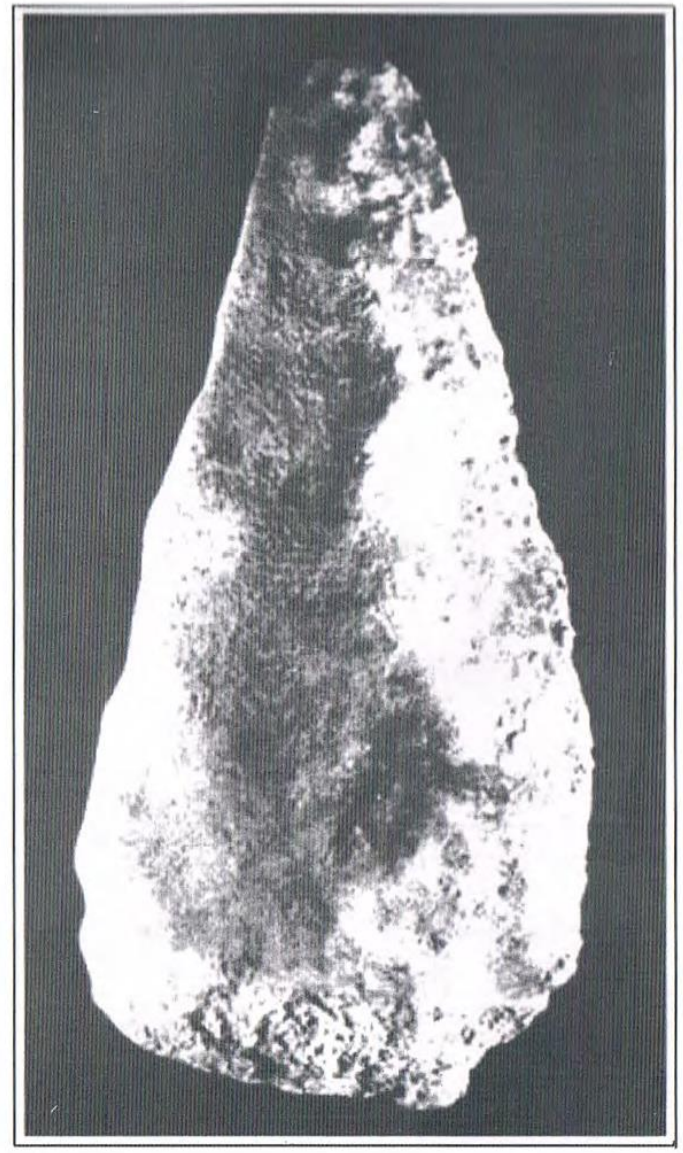

- ب -

فأس بيفاسية عثر عليها في موقع أوزيدان

الشكل رقم 04 (ب)

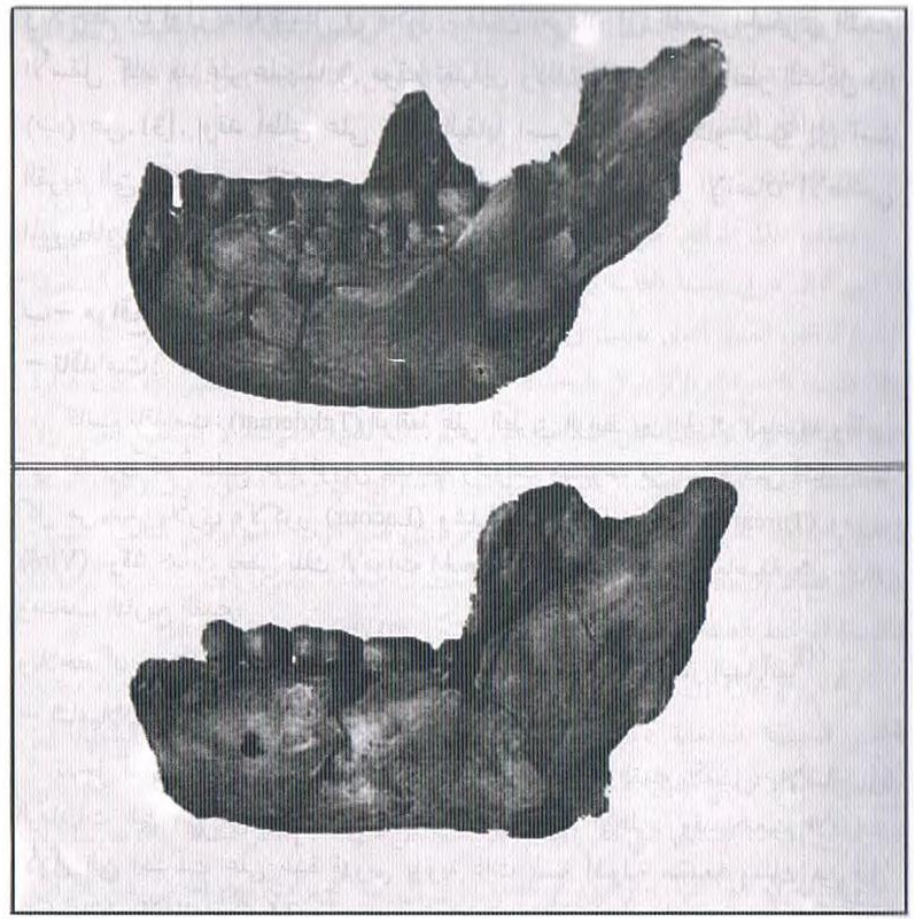

- ب -

فكان سفليان لإنسان باليكاو عثر عليهما في منطقة تغنيفين وهما ينتميان إلى الإنسان الأطلسي –الموريطاني

الشكل رقم 05 (ب)

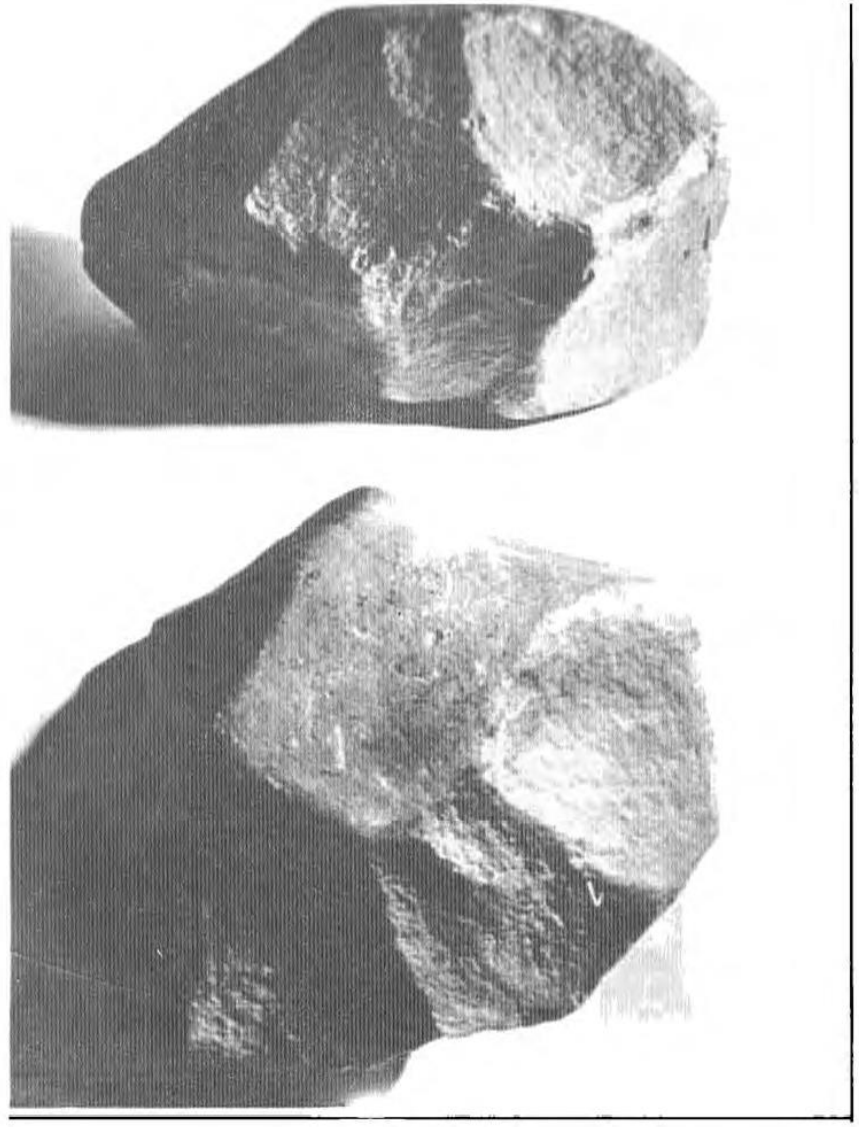

- أ -

صناعة النواة العائدة إلى العصر الحجري القديم الأسفل عثر عليها في موقع شامبلان – المدية

الشكل رقم 07 (أ)

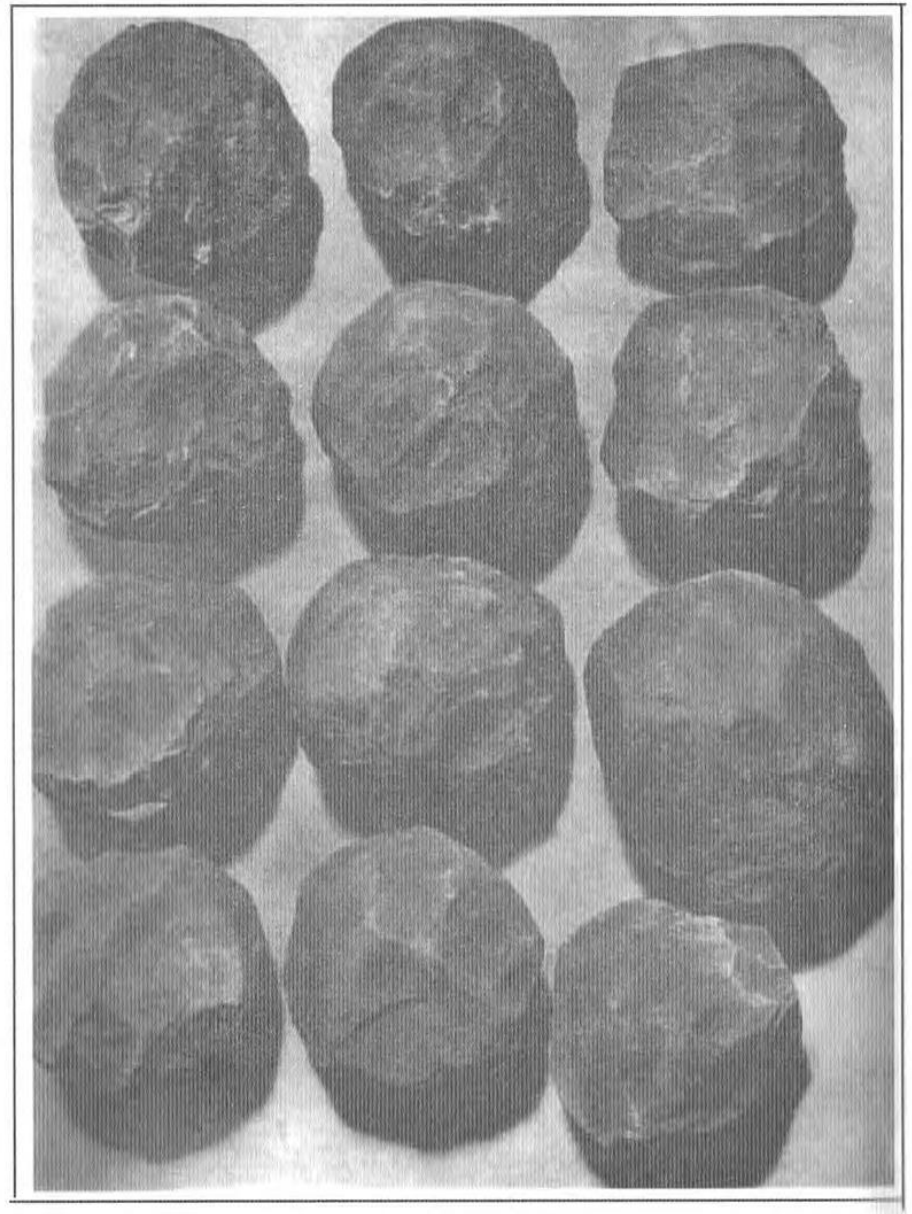

كويرات عين الحنش المهذبة الشبيهة بالبرتقالة

الشكل رقم 09

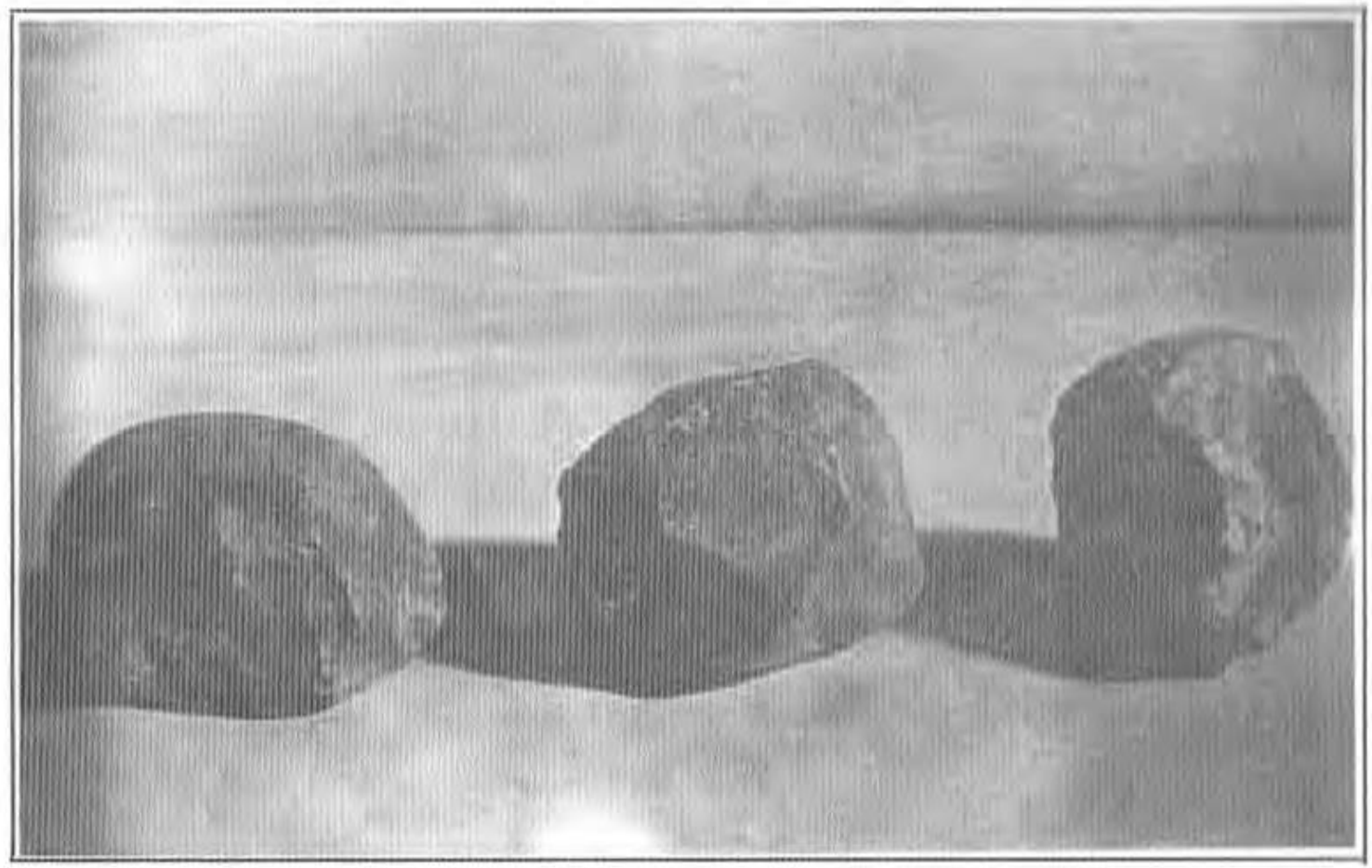

نواة لصناعة حجرية عثر عليها في الشرق الجزائري

الشكل رقم 10

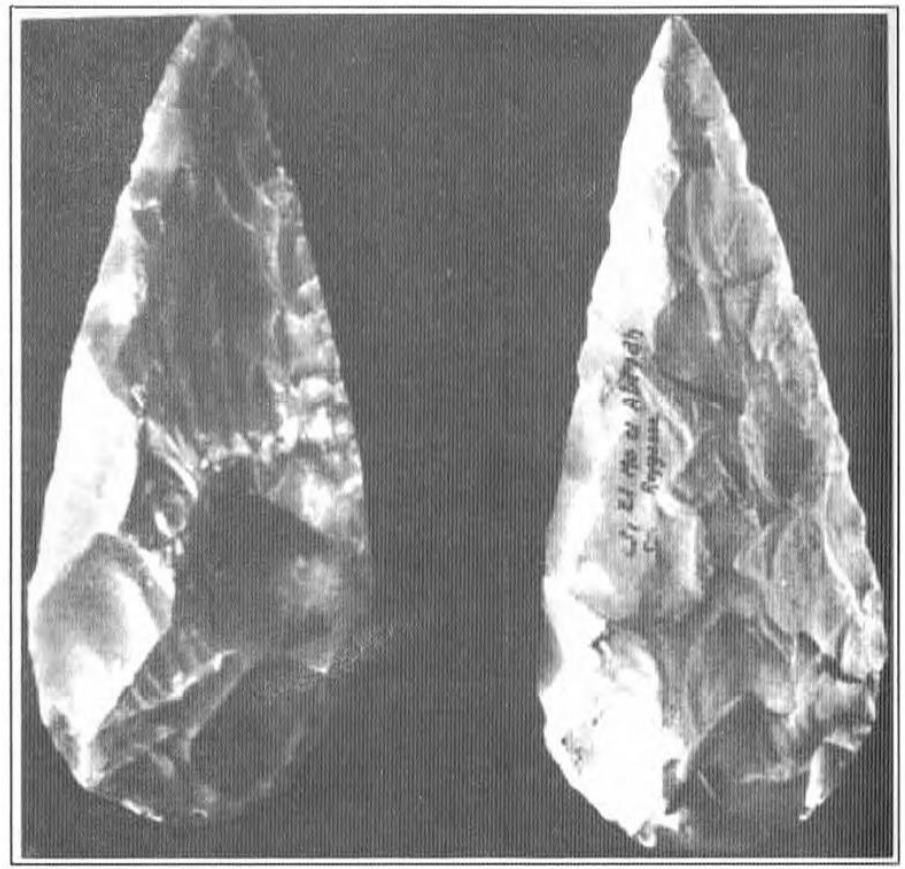

- أ -

فؤوس بيفاسية أشولية متأخرة عثر عليها بموقع الماء الأبيض بالقرب من تبسة

الشكل رقم 11 (أ)

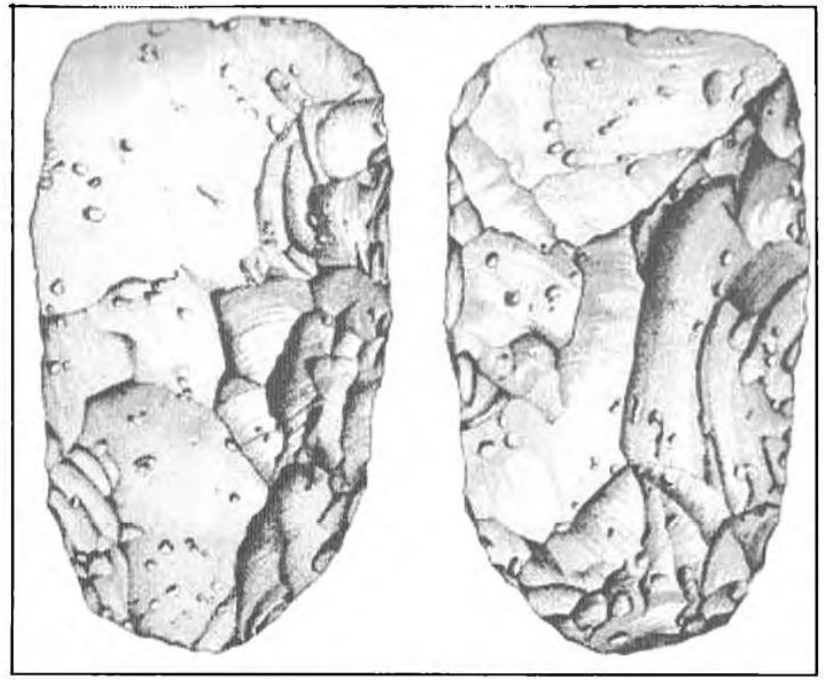

– أ –

فأس حجرية عثر عليها بموقع تيهودين بالهوجار

الشكل رقم 12 (أ)

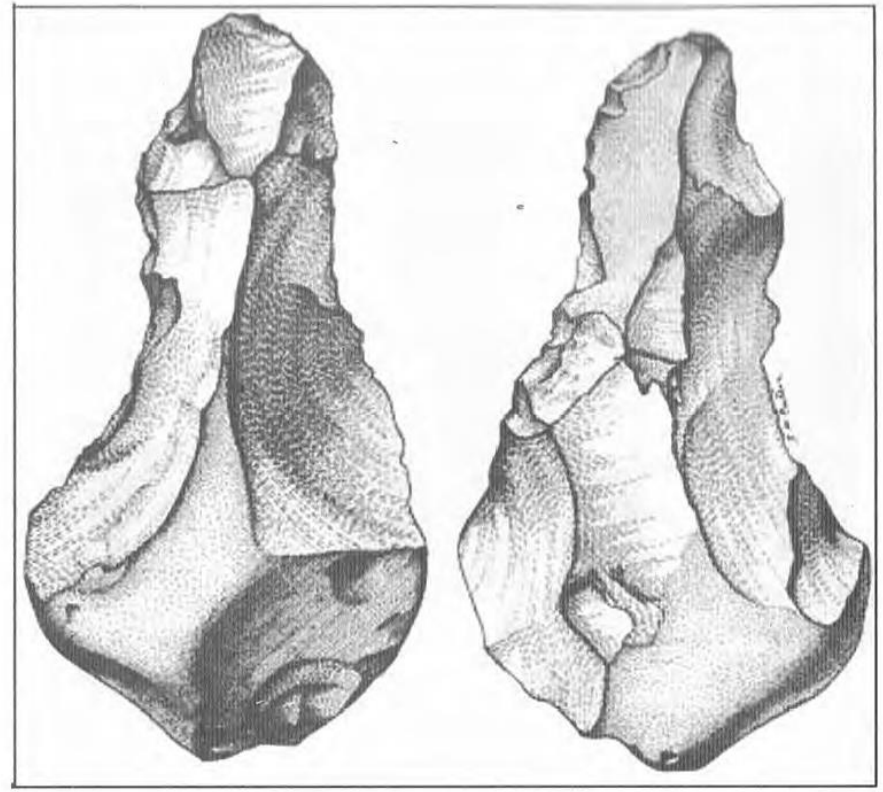

- ب -

حصى مشذبة ذات لمسات أبفيلية عثر عليها في منطقة الساورة

الشكل رقم 12 (ب)

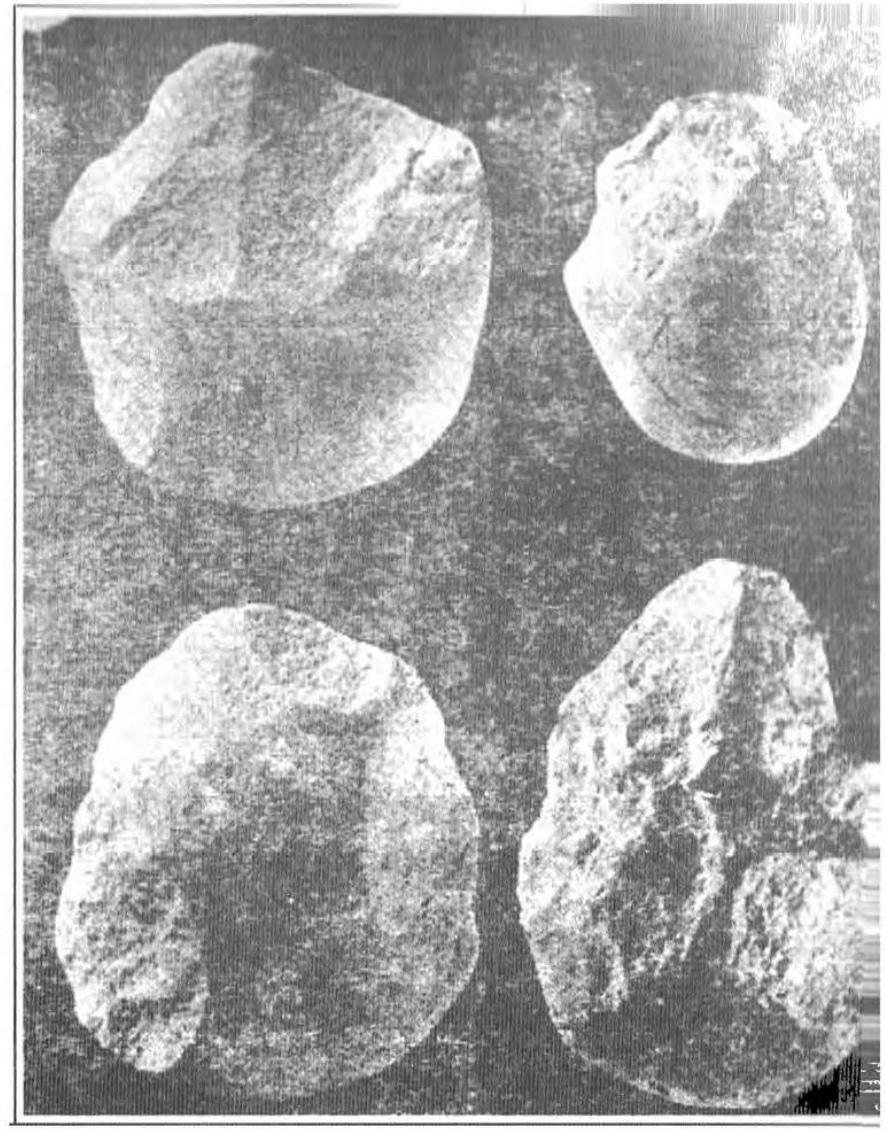

– ب –

فؤوس عائدة للفترة الأشولية المتطورة عثر عليها بسوق الأربعاء

الشكل رقم 13 (ب)

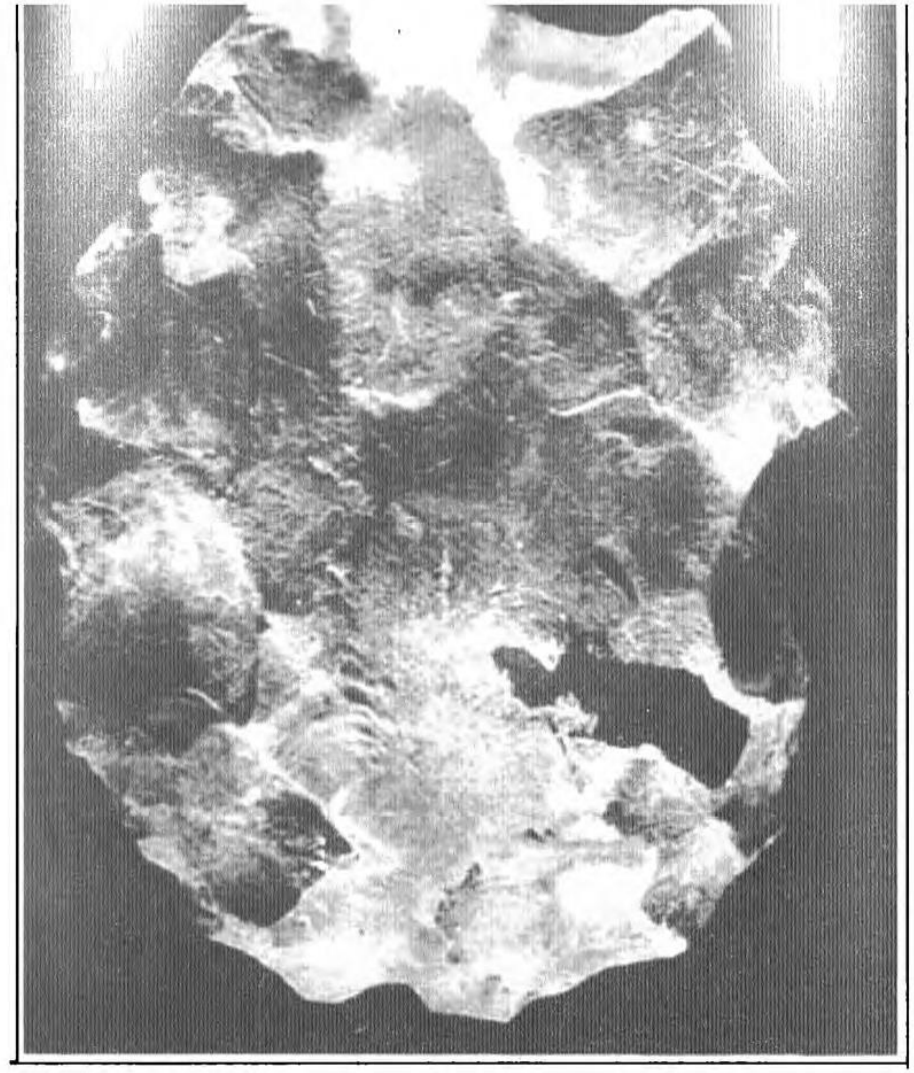

– أ –

صناعة حجرية تعود إلى العصر الحجري القديم الأسفل عثر عليها بموقع سيدي الزين – تونس

الشكل رقم 14 (أ)

- ب -

صناعة حجرية تعود إلى العصر الحجري القديم الأسفل تظهر عليها لمسات التشذيب،
عثر عليها بموقع سيدي الزين – تونس

الشكل رقم 14 (ب)

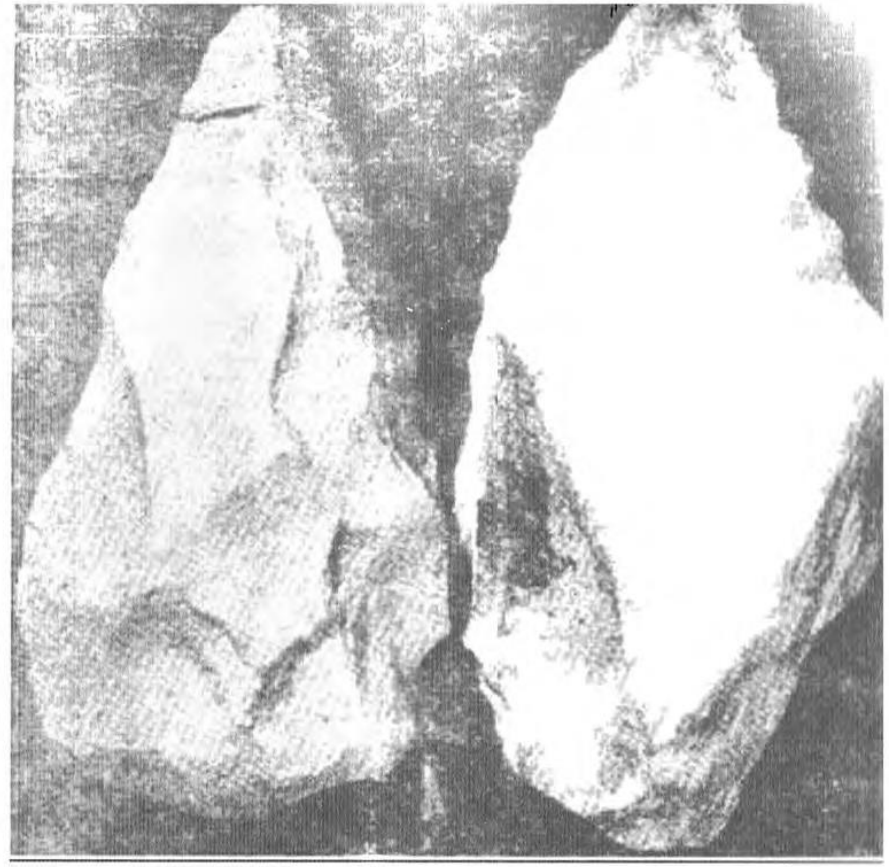

أدوات حجرية ذات لمسات كلاكتو أبفيلية تعود إلى الحضارة الأشولية السفلى– ليبيا

الشكل رقم 15.

مقدمـــة:

تعتبر منطقة شمال إفريقيا والصحراء من أقدم المناطق في العالم التي عرفت تعميرا بشريا خلال عصور ما قبل التاريخ، إذ كانت مسرحا هاما لنشأة عدة حضارات، نتيجة لتفاعل الإنسان المغاربي القديم مع بيئته بدءا من العصر الحجري القديم الأسفل إلى غاية فجر التاريخ وانبثاق الكتابة ونهاية هذا العصر الطويل الذي يُشكّل حوالي 99% من حياة البشرية، مستغلا مواردها من صخور وأشجار، ومعتمدا على صيد الطرائد وقنص الأسماك والحيوانات البحرية، ليتطور ويتمكّن خلال العصر الحجري الحديث من تدجين بعض الحيوانات واستئناس بعض النباتات، وصنع أدواته من الطين (الأواني الفخارية) بعد أن كانت من الحجر فقط. ليعرف حياة الاستقرار بدل التنقل من مكان إلى آخر بحثا عن ما يسد رمقه، وقد انعكس هذا على حياته الروحية والفكرية من خلال تجسيده لمعبوداته في أشكال معينة، وفي الرسم والنقش على الصخور.

أولا: مفهوم ما قبل التاريخ:

اتفق العلماء على إطلاق تعبير ما قبل التاريخ على العصر السابق لمعرفة الإنسان للكتابة، أي السابق لبدء تسجيل الإنسان لأعماله وأرائه في سجلات مكتوبة، سواء كانت نقشا على الحجر أو اللبن أو البردي ... فمنذ ذلك الحين تركت لتلك السجلات مهمة رواية قصة الإنسان، أما قبل هذا فعصر طويل ليس لدينا عنه أي سجل مكتوب، بل آثار أخرى صامتة، ولكنها في نظر الكثير من العلماء أكثر إفصاحا من المكتوب، لأنها لا تتعرض للزيف المتعمد من الإنسان أحيانا في تاريخه المكتوب[1].

ويمكن تعريف علم ما قبل التاريخ بأنه ذلك العلم الذي يبحث في أصل وتطور حضارات الإنسان قبل معرفته للكتابة، وتتمثل مخلفاته الحضارية في بقايا مادية أثرية كالأدوات الحجرية والعظمية ورسومات ونقوش جدارية، ودراسة هذه المخلفات من شأنها أن تسمح لنا بإعادة تصوير وتصميم الحياة اليومية لمجتمعات ما قبل التاريخ في بيئة وزمن معينين[2].

وإذا كنا نعرف متى ينتهي هذا العصر أي متى يبدأ التاريخ المكتوب، إلا نجهل متى يبدأ، ولا يقف الأمر عند هذا الحد، بل إن عصر ما قبل التاريخ لم ينته في جميع أنحاء العالم في وقت واحد. فالشعوب المختلفة تتفاوت في الوقت الذي بدأت تعلم الكتابة وتسجيل تاريخها، فمصر والعراق عرفتا الكتابة منذ عصر مبكر جدا، حوالي نهاية الألف الرابعة قبل الميلاد، بينما لم تعرف الكتابة في كريت إلا في منتصف الألف الثانية ق.م، وفي مناطق أخرى عُرفت الكتابة في تواريخ لاحقة بعد ذلك. بل لا تزال بعض الشعوب تعيش عصور ما قبل التاريخ ولم تدخل المرحلة التاريخية حتى العصر الحاضر، مثل الشعوب الاسترالية وقبائل البوشمن في جنوب إفريقيا[1].

هذا عن نهاية عصر ما قبل التاريخ، فماذا عن بدايته؟

إن هذه البداية لا تزال في عالم الغيب ولكننا كي نصل إلى حل لهذه المسألة ينبغي أن ندرك أننا بصدد تاريخ الإنسانية، سواء كان غير مكتوب (عصر ما قبل التاريخ) أو مكتوبا. ومن ثم فمقياسنا هو الإنسان نفسه، فعصر ما قبل التاريخ يبدأ بظهور الإنسان نفسه، ومن هنا تقابلنا صعوبة تحديد هذا الإنسان، فهل تعني به الإنسان الحالي أي النوع العاقل (Sapiens homo) أم الأنواع البائدة الأخرى كالبشر الجنوبي والإنسان الماهر والإنسان المنتصب القامة؟

يمكن أن تبدأ مادام هناك حضارة وبالتالي لا بد من العودة لصاحبها الذي أنجزها، فإذا كان هؤلاء أشباه بشر وصنعوا حضارة فهم بشر أسوياء، وتعريف الإنسان وظيفي قبل كل شيء، وأهم مظاهر هذه الوظيفة أنه صانع (Homo Faber). ونشير هنا أن عصر ما قبل التاريخ بدأ في عصر البلايستوسين وعصر الهولوسين أي خلال الزمن الجيولوجي الرابع، حيث بدأت الأشكال الإنسانية الأولى[2].

الحضارة الأندلسية

تمهيد: تنسب هذه الحضارة لموقع ألدوفاي الشهير الواقع جنوبي بحيرة فيكتوريا بشمال تنزانيا، وكان هذا الموقع محل حفريات منظمة منذ العشرينات قام بها عالم الآثار لويس ليكي وواصلتها زوجته في السبعينيات من القرن الماضي، وولداه من بعده، وتُوّجت بعدد هام الاكتشافات تتعلق بأدوات حجرية ومستحثات وحيوانية بشرية عرفت بالأسترالوبتكوس بوازي (*Australopithecus boisei/aethiopicus*)، وهومو هابيليس (*Homo Habilis*)[1]، وتُؤرّخ ما بين 2.6 ملين سنة و1.5 مليون سنة، ومن أشهر مواقعها الأخرى نذكر: قرب بحيرة تيركانا ولوكالالي وكوبي فورا بكينيا، وموقع بوري وحادار ووادي أومو بأثيوبيا ملكا كنتوري وكوبي فورا بكينيا، حيث عثر بها على حصاة ملساء مهيئة وهي حصاة بحجم قبضة اليد، وكتل صغيرة من الحجر أخذت منها بعض الشظايا (بواسطة حجارة أخرى) لإنتاج أدوات قاطعة خشنة لكنها صالحة للاستعمال، في قطع جلد حيوان أو تكسير أو تهشيم مادة نباتية صلبة، كما تستعمل في صنع أسلحة[2]. كما تُعرف كذلك **بحضارة الحصى المشذبة** (Bebble culture) في مناطق أخرى من العالم[3].

نهاية الرحلة

رواندا
بورندي
بحيرة فيكتوريا
كينيا
المحيط
الهندي
دودوما
تنزانيا
زنجبار
دار السلام
جمهورية
الكونغو
الديمقراطية
زامبيا
موزمبيق

وتعتبر الألدوانية أقدم الأدوات الصناعية الحجرية المعروفة في العالم، وهو منحصر جغرافيا في مناطق محدودة خاصّة بشرق وجنوب إفريقيا بتأريخات أعطت مجموعتان من المواقع الألدوانية، مواقع راجعة للبليوسان مؤرّخة ما بين 2.6 و 2 م.س، ومواقع البليو –بليستوسان من 2 إلى 1.5 م.س. أمّا المنطقة الأورو–آسيوية فقد اكتُشِفت بها أدوات صناعية حجرية من النموذج التكنولوجي الأوّل ذات خصائص الألدواني، وهي تعتبر دليل على انتشار الإنسان نحو آسيا وأوربا قادما من شرق إفريقيا. وتتميّز الصناعات الألدوانية بصناعة حجرية ذات تكنولوجية بسيطة تطبعها الإنتهازية وبذل أقل الجهد في استغلال المادّة الأوّلية و إنتاج الأدوات الحجرية[4].

موقع عين الحنش وأهميته:

ويُعد موقع عين الحنش من أقدم وأهمّ مواقع فترة ما قبل التاريخ في شمال إفريقيا، تمّ اكتشافه من طرف الباحث الفرنسي (Camille Arambourg) خلال بحوثه الباليونتولوجية التي خصّت الترسّبات القارية لمنطقة العلمة والتي بدأها سنة 1931، وقد أجرى هذا الباحث دراسته على الضفة اليسرى لوادي عين بوشريط، والتابع لبلدية القلتة الزرقاء، أين عثر فيه على أدوات حجرية لا تعد ولا تحصى، وعلى عدد هام

من بقايا عظام الحيوانات المنقرضة التي اصطاده الإنسان ليستهلكها ويستخدم عظامها كأدوات يزيد عمرها عن 2.8 مليون سنة[1]، متمثلة في حصى مشذّبة: حصى متعددة الصّفحات، شبه آروية وآروية **(انظر الشكل1)** منتمية إلى النموذج التكنولوجي الأوّل شبيهة بالصناعة الحجرية المعروفة بموقع أولدوفاي وكوبي فورا[2].

نتائج الحفائر والدراسة المعمّقة ذات أهميّة آبرى، وقد استخلص منها ما يلي:

1- موقع عين الحنش أقدم موقع معروف بشمال إفريقيا يؤرّخ بحوالي 2.8 م.س، وهو دليل على انتشار أقدم للإنسان في المنطقة .

2- يعتبر الموقع في إطاره الأصلي ولم يتعرّض لخلل كبير أو لإعادة ترتيب، فهو إذا صالح لدراسة السّلوك والتعمير البشري لهذه المرحلة.

3- البقايا الحيوانية التي تمّ العثور عليها أثناء الحفرية قد تكون جزء من تغذية إنسان عين الحنش، والأدوات الحجرية استعملت في استغلال جثث الحيوانات وفي نشاط إقتناء اللّحم[3]. ومن أهم البقايا العظمية التي عُثر عليها عظام تنتمي لوسط السافانا تعود لخيليات وبقريات صغيرة وكبيرة وخنازير ووحيدات القرن وفراس النهر والفيلة والحصان النوميدي[4].

مميزات الصناعة الحجرية لعين الحنش:

تنتمي الصناعة الحجرية لموقع عين الحنش بمختلف مستوياتها إلى النموذج التكنولوجي الأول، وهي شبيهة بالمجموعات الصناعية الحجرية الألدوانية لمرحلة البليو –بليستوسان المعروفة في إفريقيا والمؤرخّة ما بين 2.6 و1.5 م.س، بموقعي ألدوفاي وكوبي فورا، وهي متكوّنة من نوعين أساسيين من الأدوات الحجرية: (حصى مشذّبة وناتج التقصيب) الشظايا المهذّبة وغير المهذّبة، والأجزاء تتميّز هذه الصناعة الحجرية بدرجة منخفضة من القياسية باعتبار درجة التشذيب غير الموحّدة، ومورفولوجية الحصى المشذّبة ذات النسق المختلف. أمّا المواد الأولية المستعملة فهي أساسا نوعان، الحجر الكلسي وحجر الصوّان، مع استعمال قليل لأنواع أخرى الحجر الرملي والكوارتزيت، وهذه المواد الأوليّة متوفّرة بضواحي الموقع، تنتمي الصناعة الحجرية لموقع عين الحنش للنمط التكنولوجي الأوّل، وهي شبيهة بتلك التي عثر عليها في شرق إفريقيا بموقع أولدوفاي وكوبي فورا[5].

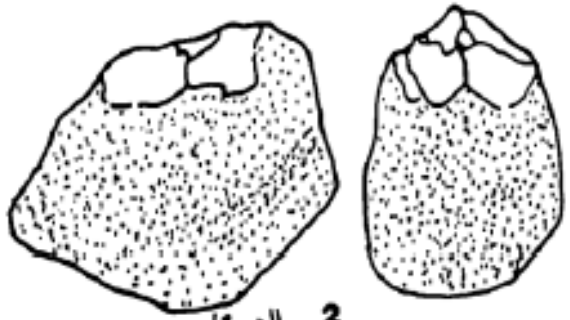

2. الدوفاي

1. الدوفاي

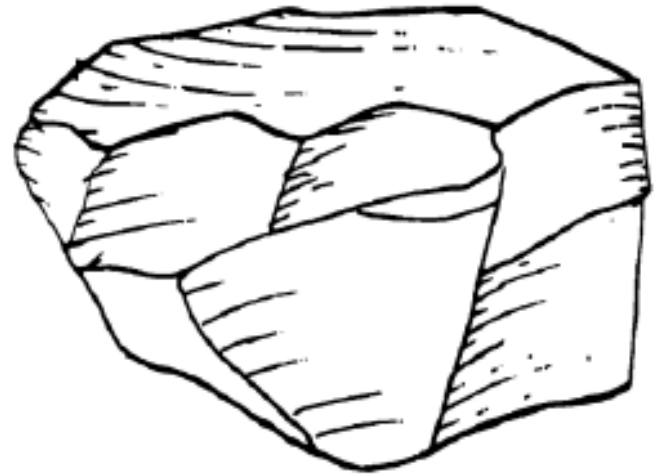

3. الدوفاي

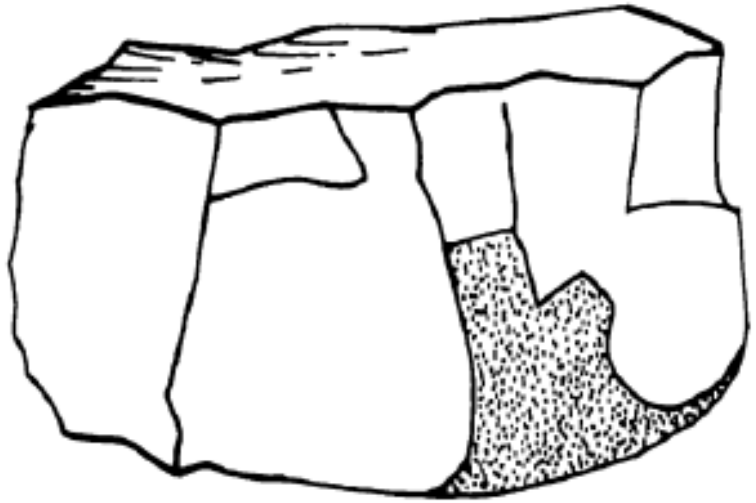

4. الدوفاي

الشكل (1): أدوات ألدوانية

INUMIDEN
.COM

ويحتفظ موقع عين الحنش بأقدم الأدلة للتعمير البشري في منطقة شمال إفريقيا حيث تعود لحوالي 1.8 مليون سنة، ولا نعرف إن كانت أصولها محلية أم نتيجة هجرات من شرق إفريقيا، كما أننا لا نعرف لأي نوع بشري تنتمي، فمن الممكن أن تكون شبيهة للإنسان الماهر (Homo Habilis)[1]، أو إنسان إرقاستر (Homo Ergaster)[2]، أو تنتمي لنوع البشر الجنوبي الأسترالوبيتاكوس، على الرغم من عدم العثور على بقاياه العظمية، كان مقارنة بمثيلتها في جنوب وشرق إفريقيا فيمكن الاعتقاد بهذا، ومن هنا يمكن القول أن صانع أدوات عين الحنش لهم قرابة بذلك النوع بشرق أفريقيا[3].

كما عُثر على أدوات حجرية مشذبة شبيهة بالأدوات الألدوانية وأدوات عين الحنش في بعض المواقع الصحراوية في رقان وعرق بورحراحت، أولف قرب أدرار ، إن أفيلاله قرب جانت، وادي تفاساست، منيت، تين زواتين، إن جران، برج تان كانا، قربب فزان، وتتميز بكبر الحجم، وهي مشذبة من جهة أو عدة جهات، ومصنوعة من حجر الكوارتز أو الكوارتزيت، وقيلا ما تكون من الحجر الرملي أو الصوان، وتُؤرخ بحوالي مليون سنة[1].

الحضارة الأشولية

1- **التعريف بها:** تعتبر هذه الحضارة من أبرز الحضارات التي تميز بها العصر الحجري القديم الأسفل، وتنسب لموقعها النموذجي التي اكتشفت به لأول مرة وهو سانت أشول (Saint Acheul) بالقرب من مدينة أميان (Amiens) شمال العاصمة باريس[2]. ويعود الفضل في تحديدها وتسميتها أول مرة للأثري (de Mortillet G.) ، سنة ويقصد بها تلك الصناعات الحجرية الغنية بالأدوات ذات الوجهين[3]، وتعود بدايات الحضارة الأشولية إلى 1.6 مليون سنة في موقع ستراكوفونتان في جنوبي إفريقيا، وفي موقع العبيدات في فلسطين ويُؤرخ بـ 1.4 مليون سنة، أما في أوربا فأقدم موقع لها هو موقع أبفيل الذي يعود 100000 سنة، أما في منطقة شمال إفريقيا فتعود لحوالي نصف مليون سنة[4]. ويعتبر موقع تغنيف أو بالكاو سابقا والذي يبعد عن مدينة معسكر بعشرين كم أهم المواقع الأشولية في منطقة شمال إفريقيا، وقد درسه بالاري سنة 1911 وعثر به على عدد هام من الأدوات الحجرية المعروفة بذات الوجهين، وعلى أدوات ثلاثية الوجوه، كما عُثر به على بقايا حيوانية هامة تشبه تلك الموجودة في السفانا كالفيلة والكركدن وحمار الوحش[5].

2- مميزاتها: من أهم مميزاتها الفؤوس اليدوية (ذات الوجهين)، وكان ظهورها نتيجة تطور الصناعة الحصوية، حيث كانت تتشذب الحصاة من وجه أو وجهين للحصول على قاطع في الطرف الأبعد، وفي مرحلة تالية توسع التشذيب ليشمل كل الحصاة بتوسع القاطع على كل المحيط، وفي المرحلة الأخيرة أصبحت للحصاة المتوسعة التشذيب مدبب في الطرف الأبعد وتحتوي سمة التناظر، ومن أدواتها الأخرى المكاشط والمحكات. كما تميزت الحضارة الأشولية بابتكارات تقنية جديدة لم تُعرف من قبل في تاريخ البشرية، تمثلت في اختراع تقنية التقصيب المحدد مسبقا، إذ كان الإنسان من قبل يقصب النواة بدون أن يتصور شكل أو حجم الشظية قبل نزعها من النواة[1].

3- **أهم الأدوات الأشولية:** تميزت الحضارة الأشولية بعدة أدوات حجرية عرفت فها دون غيرها، ومن أهم هذه الأدوات نذكر :

أ-**الفأس اليدوية ذات الوجهين (البيفاسية Biface):** هي أدوات ذات شكل مستطيل عموما، وتمتاز دائما برأس حاد وبحافتين قاطعتين، كانت تصنع هذه الأداة من حصاة كاملة أو من شظية كبيرة منفصلة من حصاة، ويحصل على الشكل العام للأدوات بواسطة نزع شظايا كبيرة من وجهي القطعة، ومن هنا سميت بالبيفاس **(انظر الشكل2)**، وتشمل عملية التشذيب أحيانا جميع أوجه القطعة الحجرية، لكن الصانع كان يترك أحيانا قاعة الأداة سالمة (وهي الجزء المعاكس للرأس الحاد)، وتميزت المرحلة الأشولية الطويلة بتطور في صناعة الأدوات البيفاسة التي اتجهت نحو انتقاء كبير أدى إلى إيجاد توازن أحسن في القطعة، وإلى انتظام شديد في حافتيها الحادتين، ويمكن تفسير هذا لاستعمال الصانع لقادح طري أي من خشب أو عظم، لأن القادح الطري يسمح بنزع شظايا أكثر رقة ما يسهل استقامة القطعة بعد تشذيبها بقادح صلب، ويمكن أن تكون هذه الأداة مثلثة أو لوزية بيضوية الشكل[2]. ولكن هذه الفؤوس أصبحت ذات شكل بيضوي، بمعنى أن طرفها المدبب أصبح على هيئة الأزميل، كما صارت الفأس أصغر حجما وقلت القشرة في أسفلها حتى اقتصر على شريط بسيط يحيط بقاعدة الآلة[3].

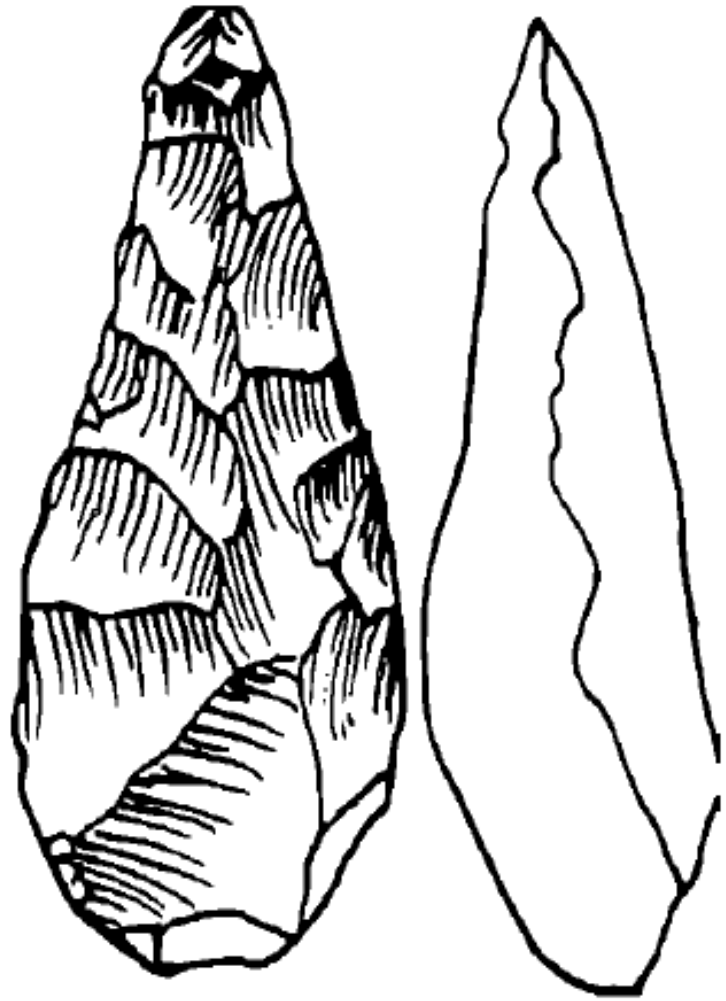

الشكل (2): فأس يدوية أشولية

ب- **البليطات:** هي أدوات ذات حواف مستعرضة تأخذ اتجاها عموديا على محور القطعة الكبير، ومن جهة أخرى فإنه على عكس مواصفات حرفي الأدوات ذات الوجهين المتحصل عليها بلمسات مقصودة على الجانبية أو جعلهما أحيانا مستقيمتين بواسطة القادح المرن، فإن حرف البليطة ذو شروم لم يناله تهذيب أبدا، وعلى العموم يتم إعداد البليطات أولا بواسطة نزع شظايا عديدة من الحصاة تبعا لاتجاهات منطلقة من المركز، وثانيا قطع شظية كبيرة تكون بليطة، ويتم الحصول على الحرف المستعرض باتصال السطحين، سطح الوجه الأعلى بسطح الوجه الأسفل، ويتم إعداد البليطة بعد تحديد شكلها العام مسبقا، وتسمح الطرقة الأخيرة التي تفصلها عن الحصاة أو النواة بالحصول على أداة صالحة للاستعمال **(انظر الشكل3)** [4].

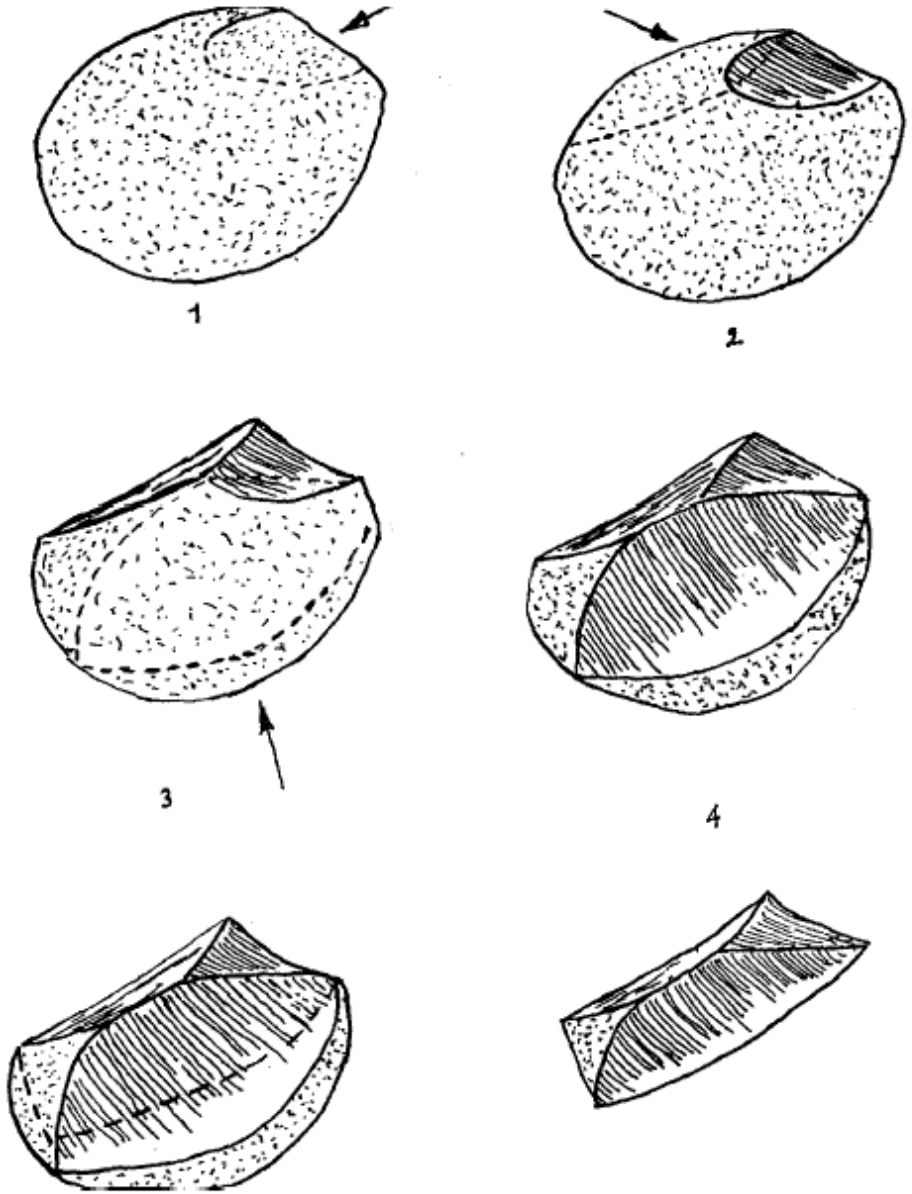

الشكل (3): كيفية صناعة بليطة

ج- **الفؤوس الصغيرة:** تختلف هذه الفؤوس عن الفؤوس اليدوية في شكل طرفها الأبعد الذي يتميز بأنه قاطع وعرضين ينتشر خاصة في البلاد الإفريقية وبصفة أقل في جنوب أوربا المحاذية للبحر المتوسط[1].

ثلاثية الوجوه: يعتبر هذه الأدوات أقلها وفرة مقارنة بالفؤوس اليدوية والبلطيات، وهي ذات نهاية حادة وقاعدة مثلثية، حيث يقوم الصانع إعداده بنزع شظايا في ثلاثة اتجاهات أو أكثر وتتميز بالسمك[2].

4- انتشار الحضارة الأشولية:

تعود أقدم شواهد الحضارة الأشولية لشرق إفريقيا، وتؤرخ بحوالي مليون ونصف سنة وترتبط بالإنسان المعتدل، حيث أن أقدم نماذجه موجودة هناك، ومن أهم مواقعه، أولدوفاي بتنزانيا في الطبقتين الثانية والثالثة، وكذلك وموقع مالكا كونتوري بكينيا، أما في المغرب القديم فتواجدت بموقع تغنيف قرب معسكر الذي اكتشف سنة 1870 حين شرع المعمرون في إنشاء قرية هناك، ويعود الفضل في اكتشاف هذه الموقع للأستاذ أرامبورغ الذي أجرى سلسلة من الحفريات الأثرية سنة 1954، وكللت مجهوداته باكتشاف أدوات حجرية وبقايا عظمية تعود للحضارة الأشولية، فضلا عن عظام بشرية تنتمي للإنسان المعتدل سمي بإنسان الأطلس، ومن المواقع الأخرى موقع الماء الأبيض وشاميلان وأوزيدان وبحيرة سفيان بشمال الجزائر، ومن أهم المواقع التونسية نذكر سيدي الزين، أما المغرب فمعروف بموقع سيدي عبد الرحمان[1]. ومن أهم المواقع الصحراوية نذكر موقعي وادي تين مات وموقع أمقيد شمال غربي الهوقار، وكذلك موقع تاوريرت تان أفلا قرب إليزي، وموقع إهاران بمنطقة الطاسيلي، ويُلاحظ أن مواقع الأشولية في الصحراء نادرة وتوجد قرب الأودية والبحيرات المتحجرة[2].

إنسان الأطلس (Atlanthrope)

1-التعريف بإنسان الأطلس: يعتبر إنسان الأطلس أحد أنواع الإنسان المعتدل الخاص ببلاد المغرب، وقد بدأت قصة هذا الاكتشاف مع بداية الحفريات التي أجريت في موقع تغنيف القريب من مدينة معسكر منذ أواخر القرن التاسع عشر، عندما قام الأثري بالاري (Pallary) بمجموعة من الحفريات، ولكن الفضل الأكبر يعود الفضل للأستاذ ك. أرامبورغ (C.Arambourg)، الذي قام بمجموعة من الحفريات سنة 1931، ثم عاد وأجرى حفريات أخرى ما بين 1954 و1956 توجت باكتشافات هامة تمثلت في العثور على بقايا عظمية بشرية تعود لأكثر من 500000 سنة، وهي عبارة عن ثلاثة فكوك سفلية أحدها نصفي وعدد من الأضراس المنعزلة **(انظر الشكل4)**[3]. وتتصف هذه البقايا بالضخامة، حيث أن الفكوك تتميز بالارتفاع والعرض الهامين وغياب الذقن والأضراس كبيرة وتشبه أضراس إنسان الصين فقد عُثر على بعض البقايا العظمية له بموقع تغنيف بالقرب من معسكر، تمثلت في ثلاثة فكوك سفلية

ومجموعة من الأضراس، فضلا عن عدة أدوات حجرية أشولية كان يستعملها في حياته اليومية من فؤوس يدوية وحصى منحوتة ، لكن حضارته تشمل كامل منطقة بلاد المغرب.[1].

كما تم العثور في منطقة صالي بالمغرب الأقصى على جمجمة تتميز بغياب الجبهة، ويبلغ حجم المخ لها 950 سم^3 ويؤرخ بحوالي 120000 سنة^2 ، كما عُثر قطعتين من فك سفلي في إحدى المغارات بسيدي عبد الرحمن التي تقع بالقرب من الدار البيضاء، وعُثر في إحدى المحاجر الرملية بالقرب من الرباط على بقايا لقوس جمجمة وبقايا لفك علوي وفك أسفل شبه كامل، وعثر على بقايا عظمية في إحدى مغارات تمارا غربي الرباط وعلى بقايا أخرى في محاجر توماس جنوبي الرباط، وتعتبر كل هذه البقايا البشرية المغربية أحدث من مكتشفات تغنيف باستثناء بقايا موقع توماس^3.

كما تم العثور على عدة بقايا عظمية تعود لإنسان الأطلس في المغرب الأقصى كم عُثر على بقيا عظمية أخرى له بموقعي الرباط سنة 1933 وصالي سنة 1971 منها، فكين سفليين وقطعتين من جمجمة وثلاثة فكوك ومجموعة أسنان تؤرخ بـ 160000 سنة، كما عُثر في موقع كبيبات على قطع لفكوك وعظام جمجمة، أما موقع توماس فقد عثروا فيه على فكوك وأسنان تؤرخ بـ 600000 سنة، وعُثر بموقع سيذي عبد الرحمن على قطعتين لفكوك.

2- **مميزات إنسان الأطلس:** ومن أهم مميزات هذا الإنسان:

- حجم المخ 930 سم^3؛

- له فكوك كبيرة وقوية، ونظام الأسنان شبيه بمثيلتها لإنسان الصين؛

أما عن أصول إنسان الأطلس بمنطقة شمال أفريقيا فقد كان محل نقاش كبير، بالبعض يرى أن أصوله محلية وهذا استنادا للتطور المحلي للأدوات الحجرية، أما البعض الآخر فيرى أن أصوله أجنبية وبالتحديد من قارة آسيا التي عرفت عدة هجرات متتالية[4].

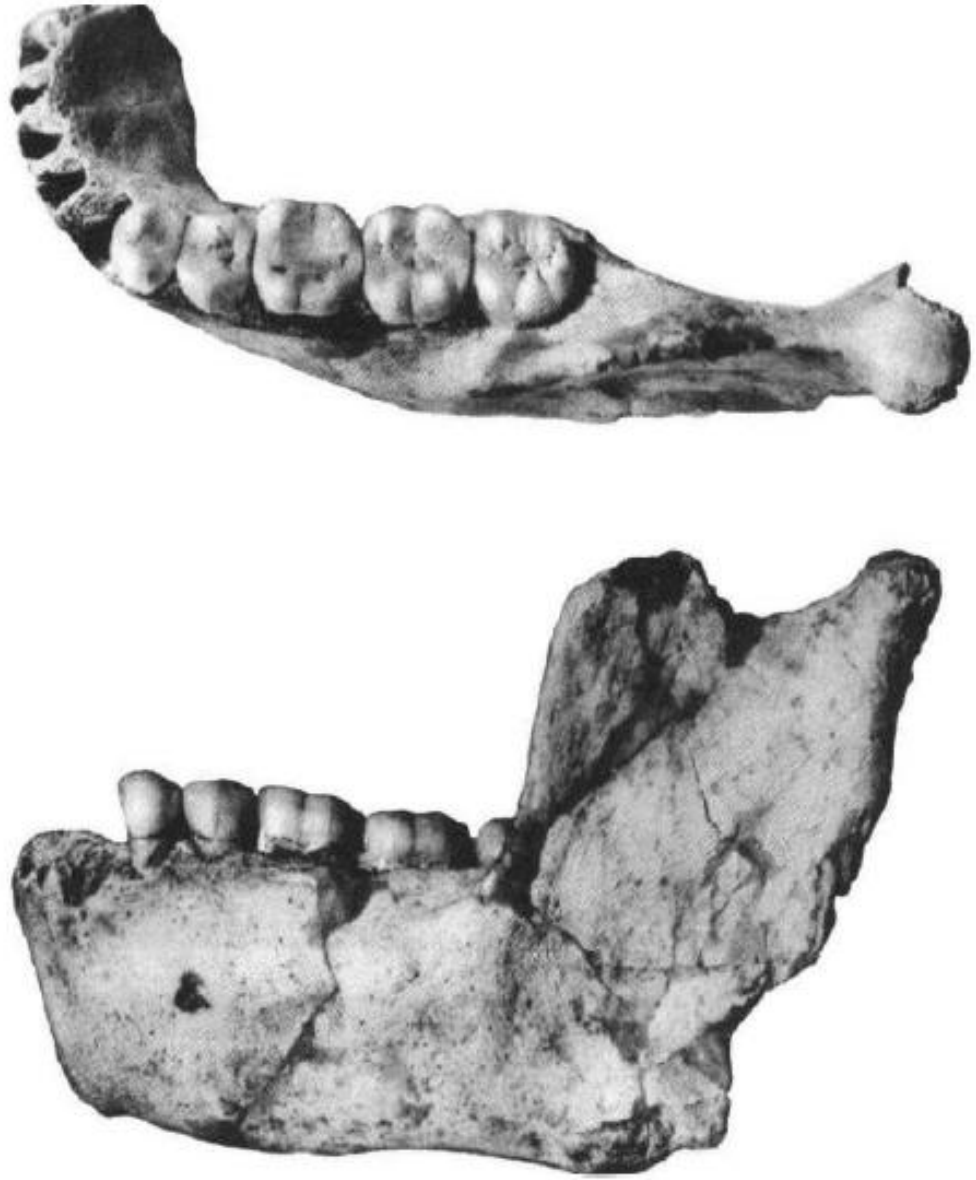

الشكل (4): فكوك لإنسان تغنيف

محطات العصر الحجري القديم الأوسط

- الحضارة الموستيرية
- الحضارة العاترية

حلت صناعة الشظايا المميزة للعصر الحجري القديم الأوسط تدريجيا محل صناعة الحصى المشذبة التي سادت خلال العصر الحجري القديم الأسفل. وكان ذلك ناتجا عن التجارب التي اكتسبها الإنسان خلال المراحل الطويلة السابقة من حياته

فقد رأى الإنسان أنه من الضروري أن يطور أدواته الحجرية وفقا للظروف الجديدة التي أصبح يمر بها والتي تتجاوز متطلباتها أدواته الحجرية التي كان يستعملها قبل ذلك والمتمثلة في الفأس البيفاسية وصناعة النواة بأنواعها وكذا الصناعة الكلاكتو- ابفيلية والأشولية في مراحلها الأولى.

ويلاحظ أن التغيير المشار إليه في حضارة الصناعة الحجرية يتزامن مع التغيير المناخي الذي ساد القارة الأوربية والمعبر عنه بفترة جليد ريس -فورم التي تقابلها المرحلة السلطانية المطيرة في بلاد المغرب القديم[1]. وخلال تلك الفترة الجليدية ظهر إنسان نياندرتال صانع الحضارة الموستيرية في أوربا وفي بعض المناطق الأخرى من آسيا وإفريقيا[2]. ولعل السبب في اجتياز بعض الجماعات النياندرتاليين إلى شمال إفريقيا يرجع إلى فرارهم من الزحف الجليدي الذي غطى القارة الأوربية. وبذلك التجأوا إلى المواقع المغربية التي بقيت آثارهم ماثلة فيها. وعرفت تلك الآثار فيما بعد بالصناعة أو الحضارة الموستيرية.

الحضارة الموستيرية

1-التعريف بها: هي إحدى حضارات العصر الحجري القديم الأوسط، وتنسب لموقعها النموذجي بقرية موستييه (le Moustier) بالدوردون، وهي قرية تقع في جنوب غربي فرنسا، ظهرت في النصف الأول من الحقبة الجليدية الأخيرة، أي ما بين 100000 سنة و35000 سنة خلت، وهي فترت قصيرة إذا ما قورنت بالعصر الحجري القديم الأسفل، وانتشرت في إفريقيا وآسيا وأوربا، وتتميز هذه الحضارة بتنوع وتعدد أدواتها، حيث أصبحت أكثر دقة نظرا لسيطرة الإنسان على تقنيات صنع أدواته من الحجارة، ومن أهمها المحكات والمكاشط والمثاقب والمسننات ،[2] ومن أهم التقنيات التي تميزت بها التقنية اللوفالوازية

(Technique Levalloisienne)، حيث يقوم الصانع بتشذيبات دائرية لقطعة الصوان أو الكوارتز ثم يقوم بعد ذلك في قطع الجزء العلوي من الحصاة انطلاقا من التشذيبات السابقة حتى تأخذ النواة شكل السلحفاة المنبسط، وبهذا تكون النواة جاهزة ويمكن نزع الشظية باللطريقة التالية: طرقة جانبية تؤدي لنزع شظية رقيقة تحمل على سطحها آثار تشذيبات دائرية، وعلى عقبها آثار صفيحات، مما يدل على الإعداد الدائري للحصاة **(انظر الشكل5)**[3]. وقد انتشرت هذه التقنية في شمال إفريقيا ما بين 80000 و50000 م.س قبل الحاضر، وهي متأخرة نوعا ما عن نظيرتها الأوربية التي بدأت في حوالي 130000 سنة قبل الحاضر، والموستيرية في شمال إفريقيا يغلب عليها النمط الفيراسي[4].

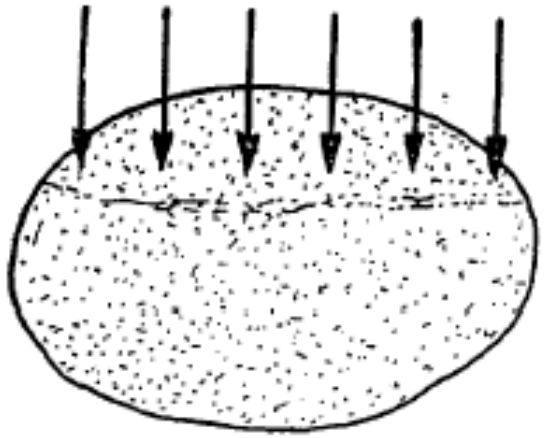

1

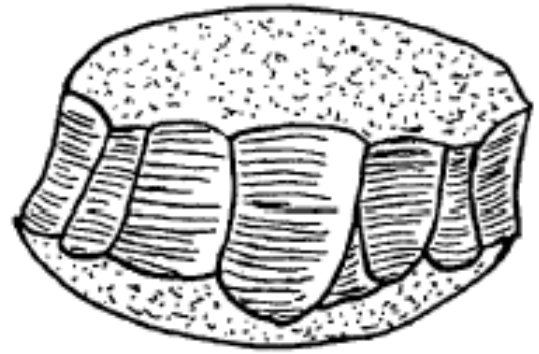

2

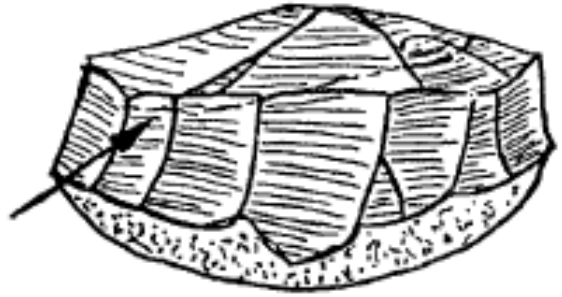

3

2- تصنيف الصناعة الموستيرية: يمكن تصنيف الأدوات الحجرية الموستيرية بناء على تقنيات إنجازها كما يلي:

أ- الموستيرية ذات التقاليد الأشولية: ومن أهم أدوات هذه المرحلة:

- استمرار وجود الفؤوس اليدوية وخاصة القلبية الشكل؛

- قطع ذات الظهر المنحني؛

- ارتفاع نسب الرؤوس ذات الظهر والمحكات والنصال وانخفاض نسبتي الفؤوس والمكاشط في مرحلته التطورية.

ب- **الموستيرية النموذجية:** يتميز الوجه الموستيري النموذجي بميزتين:

الأولى فيها طرق لوفالوزي، والثانية بدونه، وتشكل الأدوات الموستيرية الكلاسيكية: الحراب والمقاحف ذات النسب المختلفة أهم أدواتها، بينما تقل الأدوات المسننة ولا توجد فيها لافؤوس ولا سكاكين مظهّرة، كم عرفت تغيرا في نسبة المكاشط[1].

- **الموستيرية ذات المسننات:** يتميز هذا الوجه بندرة أو غياب مجمل الأدوات باستثناء أداتين هما: الحزات والمسننات، وهذان النمطان أغلبية أدوات هذه المرحلة[2].

- **الموستيرية الشارنتية:** نسبة لموقع كينا (Quina) في منطقة شارنت، ويقصد به الطرق اللوفالوزي الضعيف، وفيه الشظايا سميكة والنصال قليلة، وسطحها غالبا ما يكون أملسا، والأدوات المسننة فيها قليلة[3].

لكن بعض الباحثين ينفون وجود الحضارة الموستيرية في منطقة شمال إفريقيا لكونها لا تختلف كثيرا عن الحضارة العاترية، لكن الأثر أستورج (P. Esorges) أكد على وجود كلا الحضارتين اللذان يختلفان عن بعضهما من حيث شكل الأدوات ومن الناحية الأنثروبولوجية، وذلك بعد دراسة قام بها في موقع بريزينة بمنطقة الأطلس الصحراوي، ولاحظ وجود طبقتين تفصل بينهما طبقة من الرمال والحصى[4].

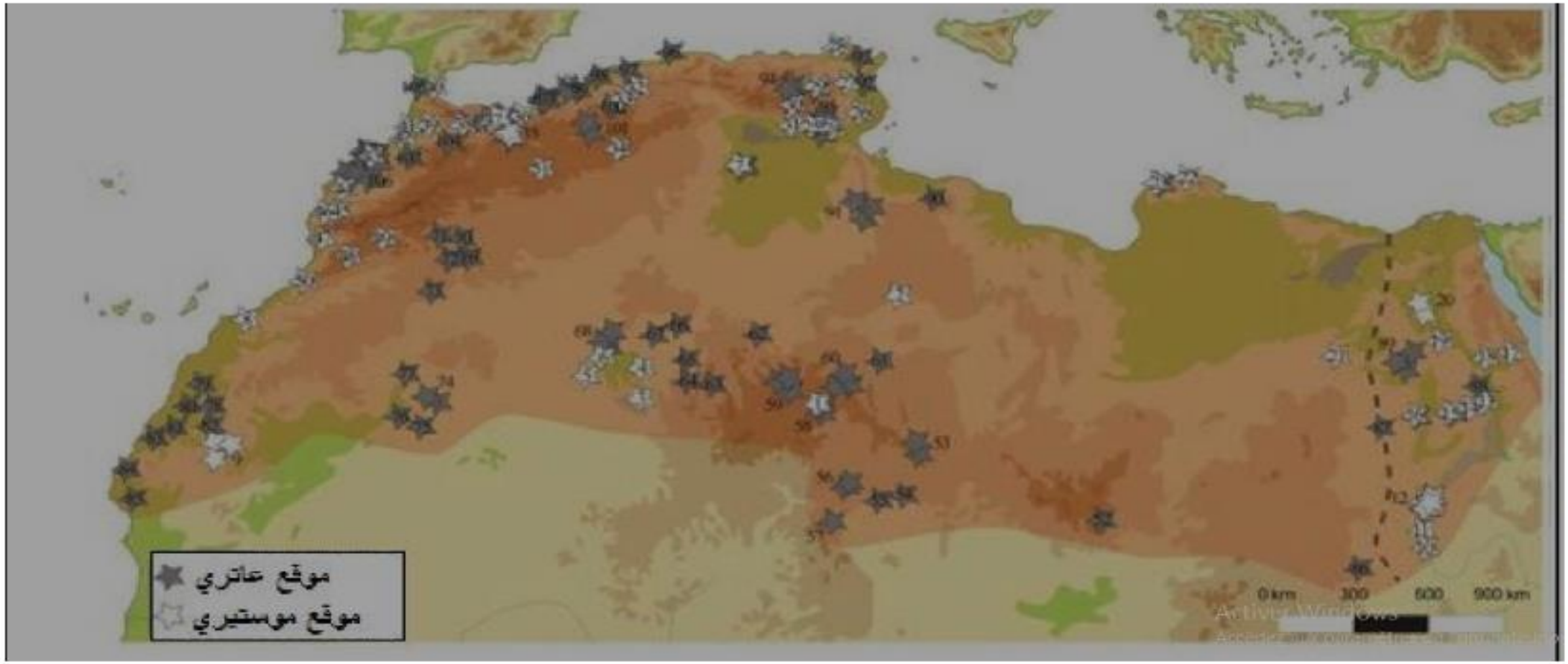

خريطة رقم (1): أهم المواقع الموستيرية والعاترية في شمال إفريقيا والصحراء

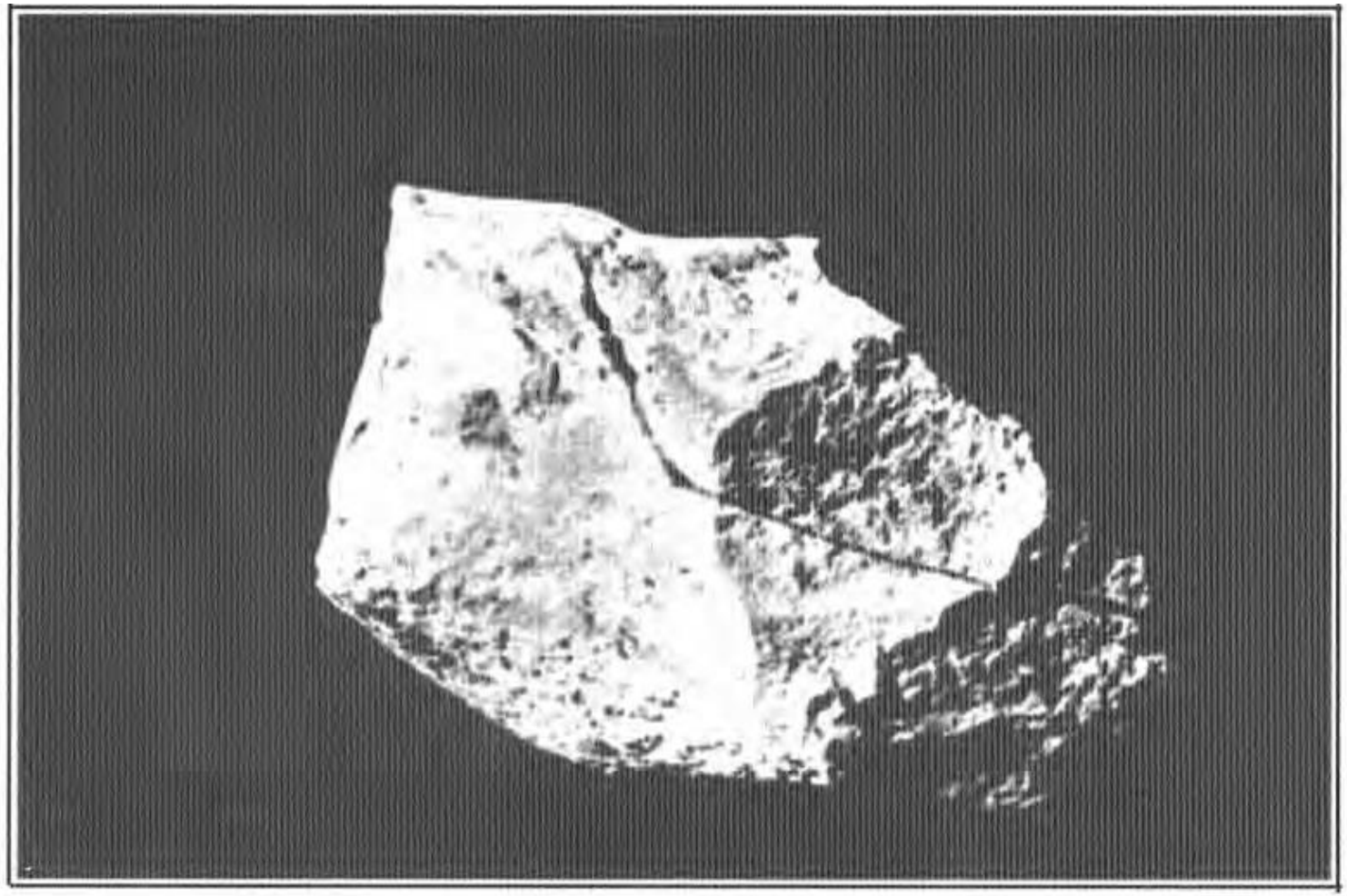

الحضارة العاترية

1- التسمية: تُنسب هذه الحضارة لموقعها النموذجي بئر العاتر بالقرب من مدينة تبسة، ويعود الفضل في اكتشافها وتسميتها للأستاذ موريس ريقاس (Maurice Reygasse) سنة 1922 في مؤتمر مونبلييه حيث أجرى أبحاثا أثرية موقع وادي الجبانة قرب بئر العاتر بتبسة[3]، وذلك لتمييز الصناعات المشتملة على أدوات ذات عنق وفصلها بصفة دائمة عن الصناعات الموستيرية دون عنق، ويعتبر مصطلح

العاترية المصطلح الوحيد من بين المصطلحات المقترحة من طرف ريقاس الذي لقي قبولا من طرف المجتمع العلمي وتواصل استعماله إلى اليوم[1].

2- تعريفها: اقترح تيكسي أول تعريف للصناعة العاترية حيث قال "أن العاترية وجه موستيري ذو تقصيبي لوفالوازي، كثيرا ما يكون نصالي مع نسبة كبيرة من الأعقاب المصفحة ونسبة محكات أعلى مما يميز باقي الأوجه الموستيرية. يتألف جزء من الأدوات من قطع تظهر في طرفها الأبعد عنقا مشذبا على وجهيه في أغلب الأحيان."[2] أما مصطفى نامي فيعرفها بقوله أنها :" مركب تقني ذو تغيرية جهوية واسعة تقتصر طرق التقصيب فيه على التقصيب الوفالوزي والتقصيب القرصي والتقصيب النصالي والتقصيب الكيفي، كما يتميز بتركيبة تنميطية متنوعة حسب المواقع تضم المعدات المميزة للباليوليتي الأوسط مع وجود عناصر مرتبطة بالباليوليتي الأعلى نظرا للتمكن من التقصيب النصالي. وتعد ظاهرة تعنيق الأدوات... ظواهر تظهر وتختفي وفقا لظروف نوعية[3].

ومن أهم أدوات الصناعة العاترية نذكر المكاشط والمسننات ورؤوس السهام المزودة بساق **(انظر الشكل6)** وكذلك السكاكين والشظايا ذات التقنية اللوفالوازية، وتمتد الحضارة العاترية من المحيط الأطلسي غربا إلى وادي النيل شرقا، كما تمتد جنوبا حتى السودان والصحراء والنيجر[4]. في حين تقل الصناعة العظمية في المواقع العاترية، إذ عثر على ستة عشرة قطعة فقط في مواقع عاترية مغاربية. كما استعمل الإنسان العاتري بعض المواد الملونة كالمغرة والقواقع المثقوبة من الرخويات البحرية، وقد كانت هذه القوقع تخضع لعملية ثقب ربما الهدف منها اتخاذها كحلية، كما وجد على البعض منها أثار المغرة الحمراء[5].

3- مراحل الحضارة العاترية: تنقسم الصناعات العاترية بناءا على أدواتها وتقنية صنعها إلى ثلاث مراحل، وهي:

أ- **العاترية القديمة:** وتتميز بصناعتها الشبيهة بالصناعة الموستيرية بل تعتبر امتدادا لها، وذات تقصيب لوفالوازي، ويلاحظ أنه في هذه المرحلة تقل الأدوات ذات العنق، وهي تتواجد في المواقع الساحلية

والمناطق القريبة منها[1]، ومن أهم المواقع التي عثر فيها على هذه الأدوات نذكر: موقع الحنك ودار السلطان وكهف الخنزيرة بالمغرب، وفي الخروبة وبيرار بالجزائر، والرأس الأبيض والمنستير بتونس[2].

ب- العاترية النموذجية: تتميز بصناعة موستيرية ذات تقصيب لوفالوازي بأعقاب متعددة الأوجه ونسبة من الصناعة تحتوي على عنق (ذنب)، ومن أهم أدواتها المحكات وخاصة منها المشكلة على رؤوس النصال، ومن أهم مواقعها نذكر موقع وادي الجبانة الذي أجرى فيه موريس ريقاس حفرياته، وكذلك وادي الجوف والشعاع بالشرق الجزائري، واستمر حضورها إلى غاية العصر الحجري الحديث[3].

ج- **العاترية العليا:** وتتميز أدواتها المهذبة والدقيقة، وتغلب عليها رؤوس السهام المزودة بساق في قاعدتها، وتنتشر في مغارة العالية شمال طنجة وموقع الخنزيرة بالمغرب الأقصى[4]، ومن أهم مواقعها الصحراوية نذكر : تيهودين، تين هناكتن، توقورت، جانت، منيت، تاجموت، حاسي الخنق، أسريول، وادي الساورة، كما تواجد في عدة مواقع شمال مالي والنيجر **(انظر الخريطة رقم1)**[5].

4- **العلاقة بين الموستيرية والعاترية:** تعتبر النظرة الكلاسيكية أن العاترية وجه متطور عن الموستيرية ومميزا لشمال إفريقيا، وبالتالي يكون احدث منه وربما معاصرا جزئيا لبعض الأوجه المتطورة للموستيرية، وقد تم حسبها الانتقال من وجه لآخر عبر تحول الأشكال الموستيرية إلى أشكال عاترية بتشذيب عنق قاعدي وتغير تدريجي للتركيبة التنميطية للصناعة بانخفاض مؤشر المكاشط مع تزايد كل من مجموعة أدوات الباليوليتي الأعلى والمجموعة العاترية. وبالرغم من كون الصناعات بدون أدوات ذات عنق لا تزال تتميز بتواريخ أقدم من الصناعات العاترية فقد أدى تضاؤل الفارق الزمني في التواريخ بين الموستيرية والعاترية إلى بروز آراء جديدة تتبلور أساسا في نظريتين:

النظرية الأولى: تعتبر الموستيرية المغاربية والعاترية وجهين ثقافيين متعاصرين وان كانت بصفة مستقلة عن بعضهما البعض طوال الحجري الأوسط، وبالتالي يكون هذا الأخير في شمال إفريقيا قد عرف مسارين حضاريين متوازيين في نفس الوقت، مسار تحولت فيها الصناعة الموستيرية إلى صناعة عاترية، ومسار بقيت فيها الصناعة الموستيرية دون تجديد تكنولوجي ملحوظ[6].

النظرية الثانية: تجمع هذه النظرية كلا من الحضارتين في وجه ثقافي واحد يتميز بالتنوع التكنولوجي والتنميطي، وتنتقد هذه النظرية ما يلاحظ من تصنيف الصناعات ضمن الوجه الثقافي العاتري بمجرد وجود أدوات ذات العنق، وبالتالي يعتبر العاترية وجه ثقافي موستيري اكتسب وطور تقنية جديدة للأنصاب تم استعمالها عند الضرورة وليس بصفة دائمة وشاملة. وبما ان كل النظريات لم تستطع الاتفاق وتقديم تفسير شامل وواحد، اقترح البعض استعمال العاترو–موستيرية[1].

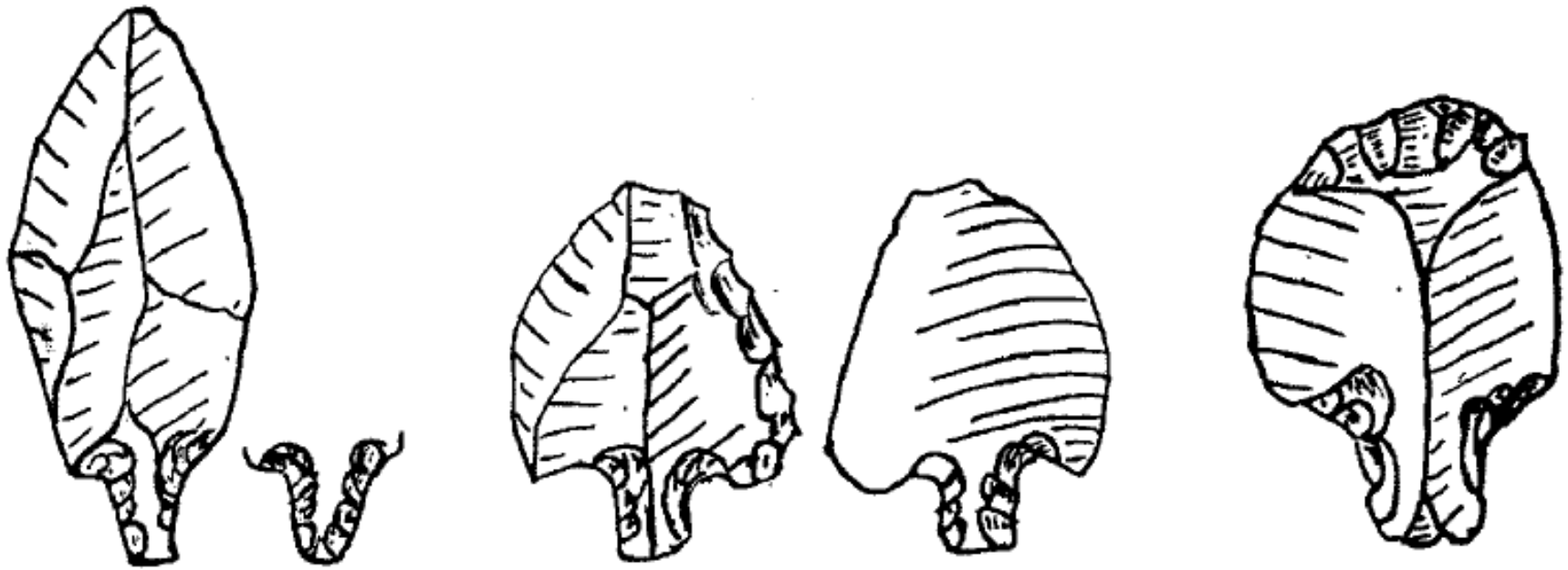

الشكل(6): أدوات عاترية مذنبة

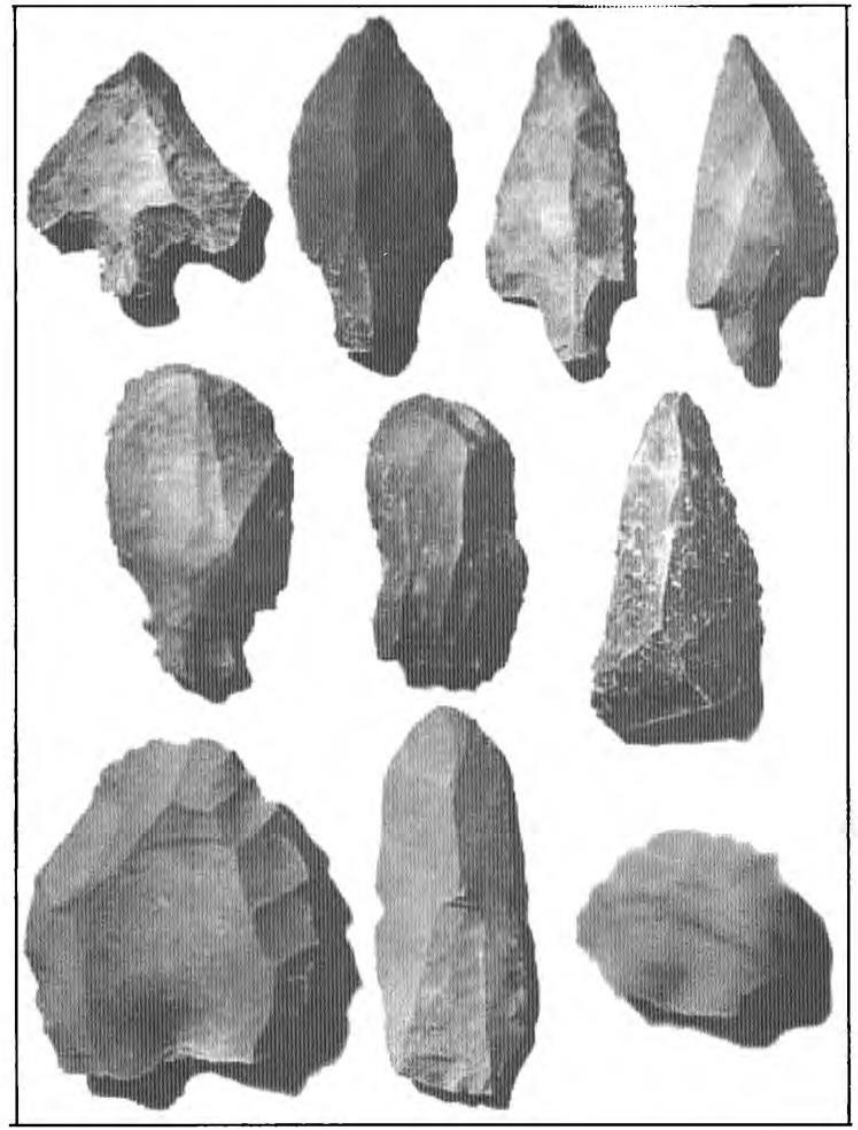

أدوات عاترية صنعت من حجر الصوان (رؤوس سهام مذنبة أو مزودة يعقب) عثر عليها في منطقة وادي جوف الجمل قرب بئر العاتر

الشكل رقم 17

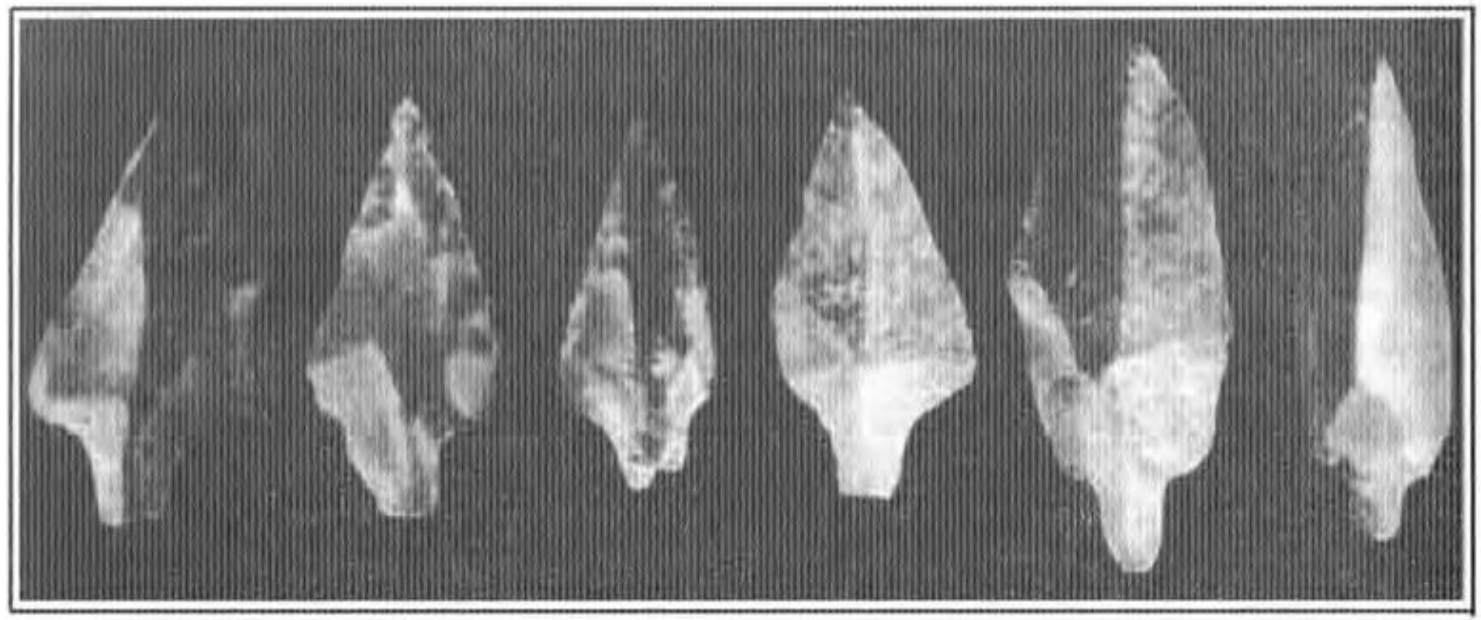

- ب-

رؤوس سهام عاترية مذنبة مصنوعة من حجر الصوان عثر عليها بوادي جبانة بالقرب من بئر العاتر